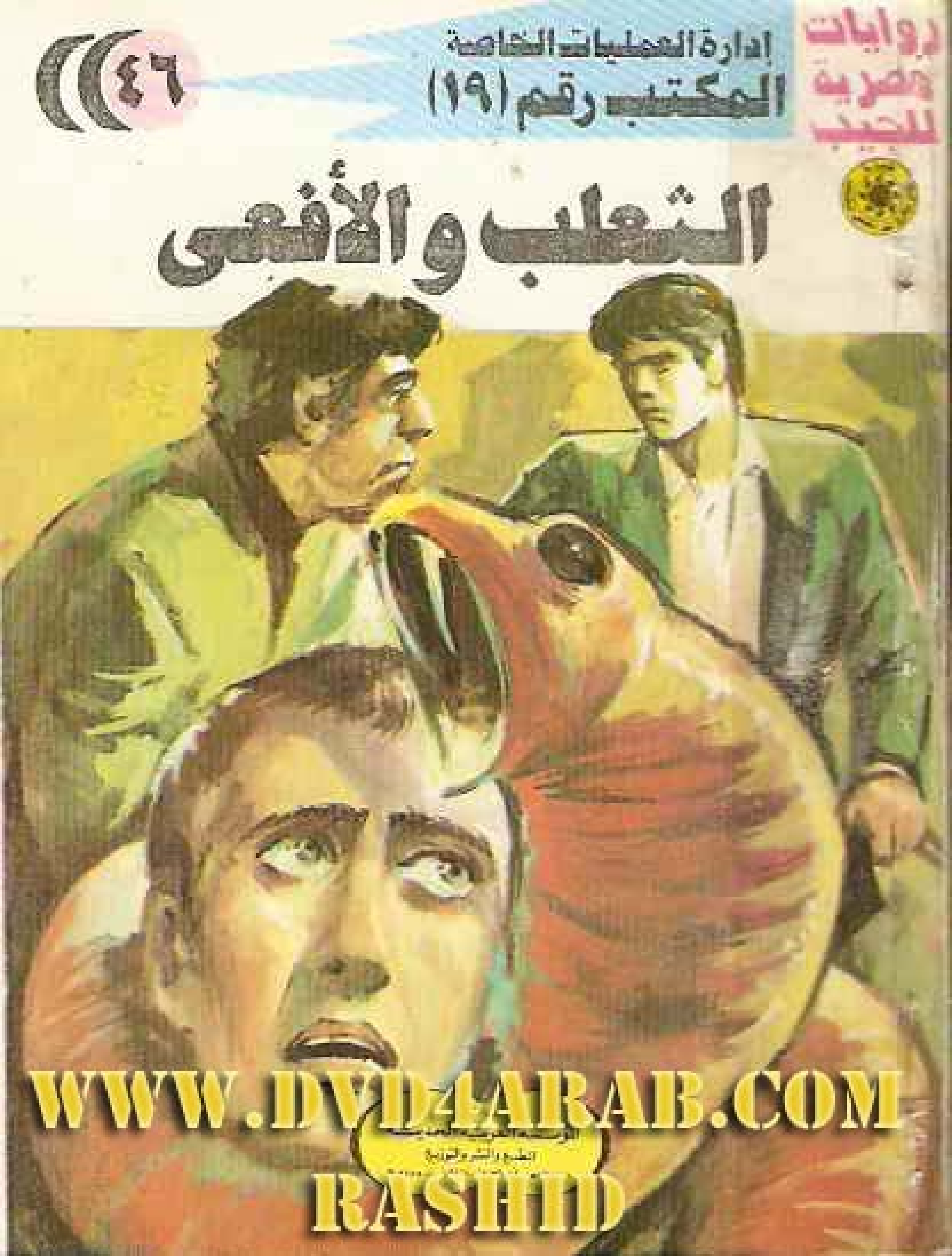

روايات مصرية للجيب
٤٦
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
الثعلب والأفعى
WWW.DVD4ARAB.COM
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
RASHID

١ ــ العميل المفقود ..

تصاعد دوِىُّ سيارة (اللورى) ، يمزِّق سكون الليل تدريجيًا ، وأرسلت مصابيحها إشارات متقطِّعة ، تعلن اقترابها ، وهى تتقدَّم نحو منحنًى محدود ، فى ذلك الطريق غير الممهَّد ، الذى تحيط الأشجار بحافتيه ، حيث توقَّفت سيارة أخرى ، أرسلت مصابيحها بدوْرِها ثلاث إشارات ضوئية ، دفعت (اللورى) إلى التوقُّف على بعد متر واحد منها ، وقد كشفتها مصابيح (اللورى) القويَّة ، وأوضحت هُوِيَّتها ؛ حيث كانت من ذلك النوع من السيارات ، الذى يستخدم لنقل الموتى ..

وهبط ثلاثة رجال من (اللورى) ، توقَّف اثنان منهم حوله ، شاهرَيْن أسلحتهما ، يراقبان الطريق فى حَذَر ، فى حين تقدَّم الثالث فى خطوات بطيئة نحو الرجلين ، اللَّذَيْن توقَّفا إلى جوار سيارة نقل الموتى ، ودار حديث مقتضب بينه وبينهما ، تحرَّك إثره أحد الرجلين نحو (اللورى) ، حيث اعتلى صندوقه

الخلفى الضخم ، وراح يتفحَّص حمولته من الصناديق الخشبية الضخمة فى دقَّة وعناية ، ثم لم يلبث أن أشار إلى زميله إشارة خاصة ، دفعت هذا الزميل إلى تسليم حقيبة بُنّية كبيرة إلى الرجل القادم من (اللورى) ، ثم تعاون الثلاثة على نقل الصناديق الخشبية إلى سيارة نقل الموتى ..

وفجأة ، انزاحت أفرع إحدى الأشجار الكثيفة ، ليتبيَّن أنها ليست سوى آدمى متخفٍّ بالأوراق والأفرع ، بحيث بدا أشبه بالطبيعة المحيطة به ، ولم يلبث أن أطلق من مدفعه الآلى عدة رصاصات ، تحت أقدام الرجال الخمسة ، فساد الاضطراب بينهم ، وسقط الصندوق الذى ينقلونه أرضًا ، وسقط غطاؤه ، وتناثرت منه كمية من الأسلحة النارية ، مختلفة الأحجام والأنواع ..

وابتسم المتنكِّر ، وهو يصوِّب مدفعه إلى الخمسة ، قائلًا :

ــ يالها من صفقة !.. البضائع تناسب السيارة المستخدمة ، فكلاهما ينقل الموتى إلى الآخرة .

قال أحد الخمسة ، بعد أن تمالك جأشه من أثر المفاجأة :

ــ من أنت ؟

اتسعت ابتسامة المتنكِّر ، وهو يقول :

ــ آه!! معذرة، نسيت تقديم نفسى.. اسمى (ممدوح).. المقدِّم (ممدوح عبد الوهاب) ، ومن أعمال وظيفتى أن أفسد مثل تلك الصفقات القذرة .

حاول أحد الرجال الخمسة أن يجذب مسدَّسه ، ولكن (ممدوح) أطلق من مدفعه رصاصة ، مرقت بين أصابع الرجل ، فعدل عن محاولته على الفور ، وارتعد فرقًا ، وهو يستمع إلى (ممدوح) يقول :

ــ حذارِ من تكرار المحاولة ، فرصاصتى لم تطش ، كما قد تتصوَّر ، وإنما أطلقتها على سبيل التحذير فحسب ، فلست أحب أن أتلف أيديكم ، قبل أن تزيِّنها الأغلال .

ثم تطلَّع إلى بقعة ضوئية ، تقترب على الطريق ، وأضاف :

ــ وهاهى ذى سيارة الشرطة تقترب .. أعدُّوا معاصمكم للأغلال ، وسنتولَّى نحن أمر نقل البضائع .

احتقنت وجوههم غيظًا ، فضحك مستطردًا :

ــ هيَّا .. ابتسموا .. فسنلتقط لكم بعض الصور الجميلة ، لنحتفظ بها فى ملفات إدارة العمليات الخاصة ، ولاتنسوا الرقم أبدًا .. المكتب رقم (١٩) .. لاتنسَوْه ..

* * *

أشرفت الساعة على الحادية عشرة مساءً ، عندما تلقَّى (ممدوح) أمرًا من اللواء (مراد) ، بعدم مغادرة العمل ، والحضور إلى حجرته على الفور ، وكان (ممدوح) يشعر بإرهاق حقيقىّ ، بعد يوم حافل من العمل والتدريبات ، والأعمال المكتبية ، إلَّا أن هذا الأمر شحذ حواسَّه ، وأيقظ الحماس فى جسده مرَّة أخرى ، إذ اشتمَّ وراءه رائحة مهمَّة جديدة ، ولا شىء يثير حماسه مثل عملية جديدة ، من عمليات الإدارة الخاصة ، التى ينتمى إليها ..

ولم تمضِ لحظات على تلقِّيه الأمر ، حتى كان يطرق باب اللواء (مراد) ، ويدلف إلى حجرة مكتبه ، حيث رآه يقف فى منتصف الحجرة ، بصحبة أحد الأشخاص ..

وقال (ممدوح) ، وهو يقف ثابتًا فى مكانه :

ــ معذرة يا سيِّدى .. لقد أتيت بحسب أمر سيادتك ، فهل جاء حضورى فى لحظة غير مناسبة ؟

دعاه اللواء (مراد) إلى الدخول ، قائلًا :

ــ تعالَ يا (ممدوح) .. أقدِّم لك العميد (فيصل الحورانى) ، نائب رئيس المخابرات الملكيَّة الأردنيَّة .

مدَّ (ممدوح) يده يصافح العميد (فيصل) فى احترام ، فى حين واصل اللواء (مراد) مهمة التقديم ، قائلًا :

ــ هذا هو المقدِّم (ممدوح عبد الوهاب) ، الذى كنَّا نتحدَّث بشأنه .

ابتسم العميد (فيصل) ، وهو يقول :

ــ المقدِّم (ممدوح) لا يحتاج إلى تعريف ، فنحن نعلم الكثير عن بطولاته ، وعن مغامراته الفذَّة ، من خلال برنامج تبادل المعلومات المشترك بيننا ، وأنا من أشدِّ المعجبين به ، على الرغم من أن هذا هو لقاؤنا الأوَّل .

قال (ممدوح) ، وقد أخجله المديح كعادته :

ــ أشكرك يا سيِّدى .. هذا تقدير أعتزُّ به .

جلس اللواء (مراد) خلف مكتبه ، ودعاهما للجلوس على المقعدين المقابلين له ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

ــ ضربة موفَّقة ، تلك التى أحبطت بها عملية الأسلحة المهرَّبة ، فلقد وضعنا أيدينا على كمية ضخمة من الأسلحة الحديثة ، وعلى واحد من أكبر تجَّار وزعماء عصابات الأسلحة .

بدا لـ (ممدوح) أن رئيسه يزهو بسرد التفاصيل ، أمام العميد (فيصل) ، إلا أنه سرعان ما خطر له أن هذا السرد مجرَّد مقدِّمة للعملية الجديدة ، التى تربطها صلة ما بالعملية

السابقة ، ولم يلبث أن أدرك أن تقديره هذا سليم للغاية ، عندما أردف اللواء (مراد) :

ــ لقد انتشرت عمليات تهريب الأسلحة ، فى الآونة الأخيرة ، لحساب العديد من رجال العصابات ، والمنظمات الإرهابية ، ليس على مستوى (مصر) وحدها ، ولكن فى العديد من بلدان العالم الثالث ، والشرق الأوسط ، وأنت تعلم أننا نعانى هذا أشدَّ المعاناة ، حيث قمنا بأكثر من أربع عمليات ، خلال الأشهر الثلاثة الماضية ، لإحباط هذه الصفقات غير المشروعة ، وفى الشقيقة (الأردن) ، كغيرها من الدول العربية ، يعانون المشكلة ذاتها ، ويواجهون نفس اللغز ، فكلنا نسعى خلف جواب لسؤال واحد : من يقف خلف عمليات التهريب المستمرة للأسلحة ؟.. أو بمعنى أدقّ ، ما التنظيم الخارجى ، الذى يتجر فى السلاح ، ويمتدُّ نشاطه ويتغلغل فى دول العالم الثالث والشرق الأوسط ؟..

لقد بيَّنت لنا التحرِّيات ، والاستجوابات لمن ألقينا القبض عليهم ، أن معلومات الجميع محدودة للغاية ، فيما يتعلَّق بالشخص أو التنظيم ، الذى يقف وراء عملية تهريب الأسلحة هذه ، وأن العمليات تتم بواسطة سماسرة أوروبيِّين ، لحساب

مصدر مجهول ، وحتى هؤلاء السماسرة ، سرعان ما يختفون ، وينتهى دورهم بعد إتمام الصفقة ، وهكذا يظل المصدر الرئيسىّ للعمليات مجهولًا .. ولقد بذلنا جهدًا كبيرًا للتوصُّل إلى ذلك المصدر ، وباءت كل جهودنا بالفشل ، حيث يحيط ذلك المصدر نفسه بقدر هائل من السرِّيَّة ، يحجبه عنا وعن مصادرنا .. ولكن المخابرات الأردنية قطعت شوطًا أكبر منا فى هذا الشأن .

اكتفى اللواء (مراد) بهذا ، وتطلَّع إلى العميد (فيصل) ، الذى التقط طرف الحديث ، وأكمل فى اهتمام :

ــ لقد أثبتت تحرِّياتنا أن المصدر الرئيسى لعمليات تهريب الأسلحة ، إلى الشرق الأوسط ، يكمن فى (بروكسل) بـ(بلجيكا) ، وإن ظلَّ اسم الزعيم ، الذى يقف خلف كل هذا مجهولًا لنا ، مما دفعنا إلى إرسال أحد عملائنا إلى (بروكسل) ، للتوصُّل إلى ذلك الزعيم ، ووضعنا خطَّتنا على أساس القضاء على الزعيم بأى ثمن ، وسافر بالفعل المقدَّم (واصف الحسينى) إلى (بروكسل) ، وبدا لنا من رسائله السرِّيَّة أنه على وشك التوصُّل إلى الزعيم المجهول ، فقد أرسل يخبرنا أنه بصدد التوصُّل إلى اسمه ، وأن أمامه بضعة أيام فقط لكشف هويَّته .

توقَّف العميد (فيصل) عند هذا الحد ، ليشعل غليونه ، ولكن فُضُول (ممدوح) دفعه إلى أن يسأله فى لهفة :

ــ وماذا حدث بعدها ؟

بدا التجهُّم على وجه العميد (فيصل) ، وهو ينفث دُخَان غليونه فى بطء ، قبل أن يقول :

ــ اختفى .. اختفى (واصف) منذ ثلاثة أشهر ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

هتف (ممدوح) :

ــ إذن فقد كشفوا أمره .

العميد (فيصل) :

ــ بالتأكيد ، ولا ريب أنهم قد تخلَّصوا منه ، وإن لم نعثر على جثته إلى الآن .

ممدوح :

ــ ربَّما لم يقتلوه !.. ربما اختطفوه فحسب .

العميد فيصل) :

ــ ربَّما ، ولكننا نجهل مصيره ، حتى هذه اللحظة ، ونجهل حتى المعلومات التى جمعها عن الزعيم .

تدخَّل اللواء (مراد) قائلًا :

ــ المخابرات الأردنيَّة تطلب تعاوننا فى هذه العملية يا (ممدوح) ، ولست أظننا نحتاج حتى إلى التفكير ، فمشكلتنا واحدة ، ولقد اتخذت قرارًا منذ أسبوع ، بتعقُّب مصدر عمليات التهريب فى الخارج ، والقضاء عليه ، بدلًا من الاكتفاء بإحباط عمليات تهريب محلِّية ، وكانت تنقصنا المعلومات عن مكان المصدر ، والآن نعلم أنه فى (بروكسل) ، وكل ما نحتاج إليه هو شخص فى مثل كفاءتك .

أجابه (ممدوح) على الفور :

ــ أنا على أتم استعداد يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ــ ستبدأ من حيث انتهى المقدَّم (واصف) ، وستحصل على ملف كامل لكل خطوة قام بها فى العملية ، حتى لحظة اختفائه ، وسيكون عليك أن تبحث مصيره ، وتسعى لكشف ذلك الزعيم المجهول .. هذه هى مهمَّتك الجديدة يا (ممدوح) .. انطلق إليها ، وليفعل الخالق (عز وجلَّ) ما فيه الخير للجميع ..

* * *

٢ ـ مُهِمَّة فى بروكسل ..

على الرغم من عشق (ممدوح) لكل الفنون الراقية ، إلا أنه لم يستسغ أبدًا الفن الأوبرالى ، دون أن يعرف لذلك سببًا ، ولكن هذا لم يمنعه من حضور عرض أوبرالى ، على مسرح (كارنيه) فى (بروكسل) ، وإجبار أذنيه على الإنصات لنغمات السوبرانو المجلجلة ، لمراقبة رجل يدعى (ميشيل دارك) ، يهوَى هذا الفن ، بعد أن فشل فى مراقبته فى قصره ، المقام عند أطراف العاصمة البلجيكية ، فالمعلومات التى منحته إيَّاها المخابرات الأردنية ، تشير إلى أن المقدَّم (واصف الحسينى) كان وثيق الصلة برجل الأعمال (ميشيل دارك) ، وكان يشاهد كثيرًا معه ، قبل اختفاء (واصف) الغامض ..

ولقد بدا (ميشيل دارك) هذا غريب الأطوار بالنسبة إلى (ممدوح) ، الذى لم يستخدم منظاره المقرَّب لمتابعة مغنية الأوبرا ، كما يفعل المشاهدون عادة ، وإنما لمراقبة (ميشيل) فى شرفة قريبة ، وقد جلس إلى جواره أحد رجاله ، بدا

لـ (ممدوح) أشبه برجال العصر الحجرىّ بمنكبيه العريضين ، وشعره البُنّىّ المجعَّد الكثيف ، ووجهه الغليظ ، الذى يحمل كل علامات القوة والغلظة ، على عكس سيِّده (ميشيل) ، الذى يحمل وجهًا ناعمًا دقيقًا ، أشبه بوجوه الفتيات ، وإن بدت عيناه ثاقبتين حادَّتين ، وهو لا يتجاوز الخامسة والأربعين بأى حال من الأحوال ..

ورأى (ممدوح) (ميشيل) وتابعه يغادران مقصورتهما ، فى فترة الاستراحة ، فغادر مقصورته بدوره ، وتبعهما إلى الكواليس ، حيث طرق (ميشيل) باب حجرة مطربة الأوبرا وبطلة العرض ، قبل أن يدلف إلى حجرتها ، يتبعه حارسه الضخم ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى هتف ، وهو يرفع كفَّيه عاليًا :

ـ يا (مارجريتا) ، كنت رائعة فى الفصل الأوَّل .

قالت مطربة الأوبرا فى استعلاء مصطنع ، دون أن تحوِّل وجهها عن المرآة :

ـ انقضى وقت طويل منذ لقائنا الأخير يا (ميشيل) ، فأى ريح ألقت بك هنا اليوم ؟

ميشيل :



قالت مطربة الأوبرا فى استعلاء مصطنع دون أن تحوّل وجهها عن المرآة :
— انقضى وقت طويل منذ لقائنا الأخير يا (ميشيل) ..

— لقد افتقدتك كثيرًا يا حبيبتى ، ولكنك تعرفين مشاغل رجال الأعمال ومتاعبهم التى لاتنتهى ، ولم أكن لأحتمل الابتعاد عنك طويلًا ، لولا ......

قاطعته فى جفاء :

— كفاك مراوغة .. أنت تعلم جيدًا سبب خلافنا الأخير ، وكنت أنتظر اعتذارًا معقولًا ، بدلًا من هذه السخافات .

ارتبك (ميشيل) لحظة ، وعجز عن إيجاد جواب ، لولا أن استطردت هى ، وهى تلتفت إليه :

— ومنذ متى تصطحب قردك هذا إلى هنا ؟. أنت تعلم أننى أكره رؤية أوغادك فى حجرتى .

رسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يدنو منها ، ويضع يده على كتفها ، قائلًا :

— حبيبتى (مارجريتا) .. لن أبقى طويلًا .. جئت فقط لإبداء إعجابى بك وبأدائك الرائع فى الفصل الأوّل ، ولأعتذر عن عدم استطاعتى متابعة العرض حتى نهايته ، لارتباطى بموعد عاجل ، ولحاجتى إلى وجود هذا القرد إلى جوارى . فخففى من عصبيّتك .

ولكنها نفضت يده عن كتفها فى عنف ، وهبّت واقفة . وقد تسلّل شىء من الانزعاج إلى صوتها ، وهى تصيح فى وجهه :

ــ إنك تبدو غريبًا للغاية .. إنك .....

انقضّ عليها تابعه الضخم بغتة ، وأطبق بكفّه على فمها ، وهو يضع على عنقها مشرطًا حادًا ، فتراجعت فى رُعب ، وارتطمت بأدوات زينتها ، وأسقطتها ، وهشّمت إحدى زجاجات عطرها الثمينة النادرة ، و.....

وفجأة ، دخل (ممدوح) إلى الحجرة ..

لم يكن دخوله مصادفة ، فقد بقى لحظات يختلس السمع خارجًا ، واختار هذه اللحظة بالذات للدخول ..

وعلى الرغم من أن الضخم قد رفع كفّه عن فم المطربة ، وأخفى المشرط فى جيبه فى سرعة ، إلّا أن موضعه خلفها كان يُوحى بقدرته على طعنها فى أيّة لحظة ، خاصة وأن علامات الشرّ لم تفارق عينيه وملامحه القاسية بعد ، أمّا (ميشيل) فقد هتف فى غضب :

ــ مَنْ أنت ؟.. وكيف سمحت لنفسك باقتحام حجرة خاصة هكذا ؟

تصنّع (ممدوح) الحرج ، وهو يقول :

ــ معذرة يا سيّدى .. كنت أبحث عن صديق ، وخُيّل إلىّ أنه فى هذه الحجرة .

قال (ميشيل) فى غضب :

ــ إنه ليس هنا ، وفى المرة القادمة تذكّر أن تطرق الباب أوّلًا .

ممدوح :

ــ لن أنسى نصيحتك يا سيّدى ، وأكرّر أسفى مرّة أخرى .

وألقى نظرة سريعة على المطربة ، التى ترتجف فرقًا ، ثم غادر الحجرة فى هدوء ..

وانتظر (ميشيل) لحظات ، ثم أطلّ خارج الحجرة ، ليتأكد من انصراف (ممدوح) ، وبعدها التفت إلى المطربة ، وقد بدت ملامحه الأنثويّة الدقيقة منفّرة ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ــ أرأيت يا عزيزتى (مارجريتا) ما الذى يمكن أن يفعله فردى هذا بأحبالك الصوتية النادرة ؟.. إشارة واحدة منّى ، وكان سيمزّقها بلا تردُّد ، فتفقدينها إلى الأبد ، والطريف أن

قردى هذا يستطيع القفز إلى حجرتك فى أيّة لحظة ، لو لم يقتصر دوْر لسانك على الغناء فحسب .

وسوّى خصلة شعر تهدّلت على جبينه ، فى نعومة ، ثم ربّت على خدها ، مستطردًا :

ــ من الأفضل أن تتذكّرى ذلك جيدًا ياعزيزتى (مارجريتا) ، وأن تنسىْ (ميشيل دارك) فى الوقت ذاته ، وهذا لصالحك حتمًا .

امتقع وجهها فى شدة ، فغمغم قبل أن ينصرف مع تابعه :

ــ وداعًا أيّتها الجميلة .. لن أعطلك أكثر عن الفصل الثانى .

ومن وراء أحد الأعمدة ، وقف (ممدوح) يراقب انصراف الرجلين ، واستعداد الممثلين للفصل الثانى ، وغمغم :

ــ يبدو أن اللُّعبة ستبدأ من هنا .. نعم .. أظن هذا ..

* * *

اندفع (ممدوح) ، بعد انتهاء الأوبرا ، نحو المطربة ، وهى تنصرف وسط حشد من المعجبين ، وهتف فى لهفة :

ــ سيّدتى .. أتسمحين لى بلحظة واحدة ؟

عاودها الاضطراب فى وضوح ، عندما وقع بصرها على (ممدوح) ، وشقّت صفوف معجبيها ، وهى تتجه إليه ، فهمس بها :

ــ أتذكريننى ؟.

أجابته متصنّعة الهدوء :

ــ أنت الرجل الذى ولج حجرتى من باب الخطإ .

ممدوح :

ــ نعم ، ولقد أدركت أنك تبدين مضطربة مع هذين الرجلين ، وفكّرت فى إمكانية تقديم مساعدة ، و .....

قاطعته فى جفاء :

ــ يبدو أنك لم تخطئ الحجرة فحسب ، بل التصوُّر أيضًا .. مَنْ أوهمك بأننى كنت مضطربة ؟!.. وحتى لو كان ذلك صحيحًا ، فما شأنك به ؟ . لست أحتاج إلى مساعدتك .

ممدوح :

ــ سيّدتى .. لست متطفلًا ، ولكنك .....

عادت لتقاطعه مرّة أخرى فى حسم :

ــ أنت تضيع وقتى أيها السيّد ، ووقتى ثمين كما تعلم .

قالتها وهى تتطلّع إلى نقطة أخرى على الجانب الآخر للطريق ، ثم أسرعت تنصرف ، فأدار (ممدوح) عينيه إلى حيث نظرت ، وأدرك سرّ خوفها ..

لقد كان القرد يقف هناك ..

* * *

٣ ـ معلومات قيِّمة ..

كانت مفاجأة لـ (ممدوح) ، وهو يتابع برامج (التليفزيون) ، فى حجرته بالفندق ، أن يعلن المذيع نبأ مصرع مطربة الأوبرا (مارجريتا بنيتو) ، مكملًا فى أسًى واضح :

ـ وترجِّح مصادر الشُّرطة أن يكون الحادث انتحارًا ، حيث عثروا على عدد من أقراص السيانيد السامَّة إلى جوار الجثة ، كما أثبتت التحليلات المعملية وجود المادة فى أمعائها ، ولكن المحيِّر فى هذا الأمر هو أن تُقدِم مطربة ناجحة شهيرة مثل (مارجريتا) على الانتحار ، بعد حفل ناجح أمس ، و .....

أدرك (ممدوح) على الفور أن الحادثة ليست انتحارًا ، وأن (ميشيل) وأعوانه خلف مصرع مطربة الأوبرا ، وأن (ميشيل) هذا رجل أعمال غير عادىّ ، لديه استعداد إجرامى لا يعرف الرَّحمة تجاه من يغضب عليهم ، ومن المؤكَّد أن هذه المطربة قد أخطأت تجاهه ، وأنه قد سارع بالتخلص

منها ، ليمنعها من كشف أمر ما ، وهذا يشير بالتالى إلى أن (واصف الحسينى) قد كشف أمرًا يتعلَّق بـ (ميشيل) هذا ، مع صلته به ، وربما كان هذا الأمر هو علاقته بعمليات تهريب الأسلحة ، وأن هذا الكشف قد دفع (ميشيل) إلى اختطاف (واصف) ، أو التخلُّص منه ..

بدت هذه الأفكار لـ (ممدوح) مرتَّبة منطقية ، تحتاج فحسب إلى أدلَّة إثبات . وبقى لديه سؤال واحد محيِّر ، ألا وهو : أ (ميشيل) هو الزعيم المجهول ، أم أنه أحد الرءوس فحسب؟.. وهل هو عضو بتنظيم ضخم؟.. وما موقعه منه؟..

وقرَّر (ممدوح) أن يقتحم العملية ..

وأن يبدأ القتال ..

* * *

امتلأت مدرَّجات مضمار السباق بالمراهنين ، وهم يتابعون الجياد المتسابقة ، وبعضهم يستخدم المناظير المقرِّبة ، لضمان وضوح الرؤية . وبينهم كان (ممدوح) يستخدم منظاره لمراقبة (ميشيل دارك) ، الذى كانت متابعة سباقات الخيل أحبَّ هواياته ، وإلى جواره ـ كالمعتاد ـ حارسه الضخم ، الذى انشغل عن السباق بمتابعة الجماهير فى تحفُّز ، لحماية سيِّده ، مما جعل (ممدوح) يغمغم لنفسه :

ـــ من الواضح أن هذا الفرد يقوم بعمله على أكمل وجه ، ولا ريب أن (ميشيل) قد عهد إليه بمهمّة التخلّص من (مارجريتا) ، فهو يبدو خبيرًا بمثل تلك المهام القذرة .

شعر بشخص يجلس إلى جواره عمدًا ، ولم يكد يلقى نظرة على وجهه ، حتى أدرك أنه زميله الرائد (فايز) ، من إدارة العمليات الخاصة ، والمكلّف مساعدته فى العملية ، وسمعه يقول حسمًا :

ـــ لقد حصلت على عدد من المعلومات ، بشأن (ميشيل دارك) ، فلقد بدأ هذا الرجل حياته صعلوكًا ، يتعيّش من أرباح مراهنات صغيرة ، وذاق مرارة الفقر والحرمان طويلًا ، ثم تطوّع فى صفوف الجيش الفرنسىّ ، وكُلّف حراسة أحد مخازن الأسلحة ، ولكن المخزن تعرّض لحادثة سرقة ، اتهم فيها مع عدد من الجنود ، ولم يثبت تورُّطه على نحو كافٍ ، وإن أُدينَ بتهمة الإهمال فى أداء وظيفته ، وقضى بسبب ذلك عدة سنوات فى السجن الحربى ، استُبْعِد بعدها من الجيش ، واختفى إثر خروجه من السجن الحربى ، ثم عاد يظهر فجأة فى (بلجيكا) ، ولمع اسمه كواحد من رجال الأعمال البارزين فى (أوروبا) ، وتدور أعماله كلها تقريبًا فى مجال تجارة

السيارات والمحرّكات الزراعية ، وأجهزة الكمبيوتر ، وامتدّت أخيرًا إلى بواخر الشحن ، أمّا نشاطه فى مجال تهريب الأسلحة والاتجار فيها فغير واضح أو محدود ، ولا دليل حقيقى لإدانته أو إدراجه فى قائمة العاملين فى هذا المجال .

قال (ممدوح) ، وهو يعيد المنظار إلى عينيه :

ـــ هذا النوع من الأنشطة يكون خفيًّا بالطبع ، ويحاط بأكبر قدر من السرّيّة ، ألديك معلومات أخرى .

الرائد (فايز) :

ـــ نعم .. هذا الرجل ينتمى إلى جماعة غير معروفة ، تُطلِقُ على نفسها اسم (هيئة رعاية رجال الأعمال) ، ولها نادٍ خاص ، تعقد فيه اجتماعاتها بصورة غير منتظمة ، كل بضعة أشهر ، وهى قاصرة على عدد محدود من رجال الأعمال ، ولا تسمح بانضمام آخرين إليها ، بعكس ما يُوحى به اسمها .

بدا الاهتمام على وجه (ممدوح) ، وهو يستمع إلى المعلومة الأخيرة ، إذ رفع منظاره عن عينيه ، وتطلّع إلى (فايز) بنظرة ثاقبة ، وهو يسأله :

ـــ ألديك أيّة معلومات عن أعضاء هذه الهيئة ؟

فايز :

— لا مع الأسف .. كل ما أعرفه هو أنهم ينتمون إلى جنسيات مختلفة ، وأن النادى الخاص بهم يقع فى إحدى ضواحى (بلجيكا) ، حيث مزرعة (ميشيل) .

ممدوح :

— عظيم .. أعتقد أن هذه المعلومات ستفيدنا كثيرًا .

وربَت على كتف زميله ، قائلًا :

— لقد أدَّيت عملًا جيدًا يا (فايز) ، تستحق من أجله لقب دائرة المعلومات المتنقلة ، الذى يطلقونه عليك فى الإدارة .

فايز :

إننى تحت أمرك ، وقتما تشاء يا سيادة المقدَّم .. كُنْ على حذر ، فـ (ميشيل) هذا يحيط نفسه بعدد من القتلة ، أمثال ذلك الغوريلّا هناك .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا فى سخرية :

— أتقصد ذلك الحَمَل الوديع ، ذا الوجه اللطيف ، والمنكبين العريضين ؟.. إنه شخص ودُود للغاية .. انظر إلى براءة الأطفال فى عينيه .

قالها ، وهو يتطلّع إلى الرجل عَبْر منظاره المقرّب ، ورآه يحدجه بنظرة تشتعل غضبًا ، فلكز زميله بمرفقه ، قائلًا :

— يبدو أن لصديقنا اللطيف عينين حادّتين ، وذاكرة أشبه بذاكرة الأفيال ، فهو ينظر باتجاهنا ، وأغلب الظن أنه قد تعرّفنى .

فايز :

— وماذا ستفعل ؟

أجابه (ممدوح) فى استخفاف ، وهو ينزع المنظار عن عينيه :

— لست أدرى .. ربما ينتظرنى مصير كمصير مطربة الأوبرا المسكينة ، إذ أن (ميشيل) وأعوانه يبغضون المتطفلين أمثالنا .. ولكن مهلًا ، لماذا نكتفى بموقف الدفاع ؟.. لِمَ لا نبدأ نحن مهمّة التعارف ؟

حدّق (فايز) فى وجهه بدهشة ، وخفق قلبه فى قلق ، فقد كان يعلم أن الاستخفاف الظاهر فى صوت (ممدوح) يخفى دَوْمًا أمرًا ما ..

أمرًا يحمل طابع (ممدوح عبد الوهاب) ..

* * *

٤ ــ رائحة الخَطَر ..

فتح (ممدوح) باب سيارته فى حِرْص ، وتطلَّع إلى ذلك المكان ، الذى حشر فيه ورقة صغيرة بين الباب وإطاره ، وابتسم عندما لم يجد الورقة فى موضعها ، وغمغم :

ــ لقد بدءُوا العمل فى سرعة إذن .. تُرى أيَّة هدية تركها لنا (ميشيل) وتابعه .

راح يفحص السيارة من الداخل فى حِرْص ، ولمَّا لم يجد بها ما يريب ، أخذ يدور حولها فى عناية ، ثم فتح غطاء المحرِّك ، وفحص المحرِّك نفسه ، على ضوء مصباح يدوىّ ، ولكنه لم يجد شيئًا أيضًا ، فغمغم متوتِّرًا :

ــ عجبًا !! .. هل أجهد ذلك الزائر المجهول نفسه ، وفتح السيارة ، ليفحَصها فحسب ؟! ..

همَّ بالهبوط ليفحص أسفل السيارة ، لولا أن لمح فجأة غطاء قدَّاحة السيارة ..

وعلى الرغم من أن إدارة العمليات الخاصة ، قد استأجرت

فتح (ممدوح) باب سيارته فى حِرْص ، وتطلَّع إلى ذلك المكان ، الذى حشر فيه ورقة صغيرة ..

له هذه السيارة منذ أيام قليلة ، إلّا أن ذاكرته القوية وقوة ملاحظته أدركتا أن غطاء القدّاحة يختلف ..

وفى حرص ودقّة ، راح ينزع غطاء القدّاحة ، حتى ظفر به ، فمسح حبّات العرق ، التى تجمّعت على جبينه ، وهو يتفحّص الغطاء ، مغمغمًا :

ـ من الواضح أن غريمى لا يميل إلى الوسائل التقليديّة ، للتخلّص من خصومه ، فهذا النوع من القنابل الإليكترونية البالغة الصّغر ، كان يحتاج إلى ضغطة واحدة على قدّاحة السيارة ، ليُحدث انفجارًا رهيبًا .

راح يتابع الأسلاك الرفيعة فى دقّة ، حتى انتهت به إلى مفتاح إدارة المحرّك ، فأطلق من بين شفتيه صفيرًا طويلًا ، وتابع :

ـ بل هو أبرع من ذلك .. كان يكفى أن أدير المحرّك فحسب ؛ ليحدث الانفجار .

وأخذ ينزع الأسلاك والقنبلة فى حِرْص ، وهو يتمتم ساخرًا :

ـ أليس من العجيب أن تنجح ورقة صغيرة فى إحباط خطّة إليكترونية معقّدة كهذه ؟!.. يبدو أن البدائية مازالت تربح فى عصرنا هذا .

اعتدل مُسوّيًا من تصفيفة شعره ، وانطلق بالسيارة نحو هدفه ..

نحو فيلّا (ميشيل دارك) ..

* * *

كان الطريق وعرًا ، يمرّ بالكثير من المرتفعات والمنحنيات . ولكن مشهد الفيلّا الرائعة ، التى تطلّ على خليج بحرى ، وتظلّلها الأشجار والحدائق من كل جانب ، كان يكفى نحو متاعب الرحلة كلها من النفس ..

ولقد أوقف (ممدوح) سيارته أمام الفيلّا مباشرة ، وهبط منها فى هدوء ، وهمّ بضغط جرس الباب ، لولا أن فتح أحد الرجال بابها ، قبل أن تلمس سبّابته الزّر ، وقال :

ـ هل من خدمة ؟

ممدوح :

ـ أريد مقابلة مسيو (ميشيل دارك) .

تفحّصه الرجل لحظات ، قبل أن يقول فى تجهّم :

ـ ألديك موعد سابق ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ـ لا .. ولكننى أصرّ على مقابلته .

قال الرجل فى غلظة :

ـــ مسيو (ميشيل) لا يقابل أحدًا ، دون موعد سابق ، و .....

توالى رنين الهاتف بغتة ، داخل كشك مجاور للبوابة ، مما بتر عبارة الرجل ، وأربكه لحظات ، قبل أن يقول فى حسم :

ـــ انتظر .

وأسرع إلى الهاتف ، ورفع سمّاعته ، وألصقها بأذنه ، واستمع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـــ كما تأمر يا سيّدى .

نظر (ممدوح) بطرف عينه إلى آلة التصوير التليفزيونية الصغيرة ، المثبتة فى جذع شجرة قريبة ، وأدرك أنها سبب الهاتف ، وأن (ميشيل) أو أحد أعوانه يراقبه عبْرها ، حتى سمع الحارس يقول :

ـــ ادخل .. سيقابلك مسيو (ميشيل) .

عَبَرَ (ممدوح) ممرًا رخاميًا طويلًا ، اصطفّت أوانى الزُّهور على جانبيه ، انتهى به عند باب الفِيلّا ، حيث برز أمامه ذلك القرد ، الذى يحتلّ موقع الحارس الخاص لـ (ميشيل) ، وقد ارتسم مزيج من الغيظ والحَنَق على وجهه ، مما جعل (ممدوح)

يبتسم فى أعماقه ، وهو يدرك أن الرجل لم يكن يتوقَّع رؤيته حيًّا ، وعلى الرغم منه ، انتقلت ابتسامته إلى شفتيه ، فاحتقن وجه الرجل غضبًا ، وأشار إليه أن يتبعه ..

وقاده القرد إلى قاعة ضخمة ، احتشدت بتحف فنّية نادرة ، ثم تركه وانصرف ، وراح (ممدوح) يتأمّل التحف فى اهتمام ، حتى انتبه على صوت يأتى من خلفه ، قائلًا :

ـــ هل يرُوق لك هذا التمثال ؟

التفت (ممدوح) فى هدوء ، إلى حيث يقف (ميشيل) بملامحه الأنثوية الدقيقة ، وتلك النظرة الحادّة فى عينيه ، وأجاب فى بساطة :

ـــ المثّال الذى صنعه بارع حقًّا .. إنه لـ (أنجلو) .. أليس كذلك ؟

تجاهل (ميشيل) السؤال ، وهو يقول :

ـــ لقد التقينا من قبل .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ـــ نعم .. فى الأوبرا .

قال (ميشيل) ، وكأنه يتذكَّر :

ـــ آه !!.. بالطبع .. أنت الرجل الذى اقتحم حجرة (مارجريتا) .

ممدوح :

— لا ريب أنك تذكرنى بما هو أكثر من ذلك ، وإلا فما سمحت لى بالدخول .

ابتسم (ميشيل) ، وقال فى لهجة خبيثة :

— أذكر أيضًا أنك كنت تراقبنى بمنظار مقرّب ، فى مضمار السباق . وهذا يعنى أن اقتحامك لحجرة (مارجريتا) لم يكن من باب الخطإ ، كما حاولت أن توهمنا ليلتها .

بادله (ممدوح) نفس الابتسامة ، وهو يقول :

— تمامًا .. كما لم يكن موتها انتحارًا ، كما صوّرته وسائل الإعلام .

ثم أخرج من جيبه القنبلة الإلكترونية الصغيرة ، وهو يستطرد :

— وكذلك لم تصل تلك القنبلة الدقيقة إلى قدّاحة سيارتك بالمصادفة البحتة .

سأله (ميشيل) فى برود :

— ماذا تعنى ؟

أخرج (ممدوح) من جيب سترته صورة فوتوجرافية ، وضعها أمام عينى (ميشيل) ، وهو يقول :

— ما دمنا سنكشف أوراقنا على هذا النحو ، فلم لا تخبرنى بما فعلته بصاحب هذه الصورة ؟

حدّق (ميشيل) لحظات فى صورة (واصف الحسينى) ، وحاول أن يخفى انزعاجه ، وهو يقول :

— إنه رجل أعمال أردنىّ ، لمّتْ بيننا صداقة ، على الرغم من قصر فترة تعارفنا ، وكنّا بصدد توقيع عقد تجارىّ ، عندما اختفى بغتة ، وفشلت تمامًا فى العثور عليه .. ولكن لماذا لم تسألنى عنه مباشرة ، بدلًا من المراقبة والأساليب الملتوية ؟..
أهو صديق لك ؟

ممدوح :

— نعم .. وأظنه قُتِلَ أو اختطف .

ارتسمت دهشة حقيقية على وجه (ميشيل) ، وهو يهتف :

— قُتِلَ أو اختطف ؟!.. لماذا ؟

أجابه (ممدوح) .. فى هدوء :

— ظننت أننى سأجد الجواب لديك

قال (ميشيل) فى دهشة ساخرة :

— أتظن أننى المسئول عن اختفائه ؟

ممدوح :

ـــ لدىّ فى الواقع إحساس بذلك .

ميشيل :

ـــ اسمع يا رجل .. إننى رجل أعمال ، ولست زعيم عصابة ، ألم تصل بك تحرّياتك إلى هذا ؟

ممدوح :

ـــ بلى ، وأثبتت لى أنك تتمتع بالاحترام الكافى ، والسُّمعة الطيِّبة ، فى وسط رجال الأعمال فى (أوروبا) ، ولكنها تؤكِّد أيضًا وجود رجال عصابات محترفين ، داخل جهازك الأمنى ، وفى مقدمتهم ذلك القرد البشرى ، الذى يتبعك كظلّك ، وهناك تلك القنبلة الإليكترونية فى قدّاحة سيارتى ، وانتحار (مارجريتا بنيتو) ، بعد ساعات من محاولة قردك تمزيق أحبالها الصوتية .

تبدّلت قسمات (ميشيل) ، وهو يقول فى خشونة :

ـــ خيالك خصب للغاية يا رجل .. ما اسمك ؟

ممدوح :

ـــ اسمى (ممدوح) .. (ممدوح كامل) .

ميشيل :

ـــ حسنًا يا (ممدوح) ، لست أدرى ما الذى يدفعنى إلى إضاعة وقتى فى الاستماع إليك ، وأنت تنسب إلىّ عدة تُهم

دون دليل ؟ ولتعلم أن وقتى أثمن من أن أمنحك منه أكثر من هذا ، ولو عثرت على أيّة معلومات جديدة ، بشأن صديقنا المشترك (واصف الحسينى) ، فسأبلغك بها .. فقط اترك عنوانك ، حتى يتسنّى لى الاتصال بك .

أجابه (ممدوح) فى سخرية ، وهو يهمّ بالانصراف :

ـــ لا أظنك ستبذل جهدًا لمعرفة عنوانى ، فلديك محترفون فى هذا الشأن ، وأظنهم سينطلقون خلفى ، بعد انصرافى من هنا .. على أيّة حال ، لقد استمتعت كثيرًا بمقابلتك ، وأنا واثق من أننا سنلتقى مرّة أخرى .

هتف به (ميشيل) ، وقد احتقن وجهه غضبًا :

ـــ انتظر .

ثم ألقى إليه بالقنبلة الإلكترونية الدقيقة ، مستطردًا :

ـــ خُذ لُعبتك السخيفة معك .

التقط (ممدوح) القنبلة فى راحته ، وتطلّع إليها لحظة ، ثم قال ساخرًا :

ـــ لا بأس ، مادمت تصرُّ ، وإن كنت أعتقد أنها قد كلّفتك كثيرًا .

وانصرف تاركًا (ميشيل) يتابعه بنظرات ناريّة ..

* * *

٥ ـ لِقاء عاصِف ..

لم يكد (ممدوح) ينصرف ، حتى ظهر ذلك القرد العريض المنكبين ، يراقب انصراف سيارة (ممدوح) ، بعينين تقدحان شررًا ، فقال (ميشيل) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ يبدو أننى قد قلَّلت من شأن هذا الرجل كثيرًا ، ولكننى ـ وبعد أن التقيت به ـ أجد قتله ضروريًّا ومحتمًا .

راح القرد يجيبه بإشارات من يده ، تشفُّ عن كَوْنه أبْكَم ، حتى أجاب (ميشيل) ، وقد فهم لغة الإشارات :

ـ تسألنى لماذا لم أتركك تحطم رقبته ؟.. ينبغى أن تعلم أوّلًا من يقف خلفه ، وما قدر ما يعلمه عنَّا من معلومات ، ثم ـ وهذا هو الأهم ـ إنه من الضرورىّ أن نبقى دوْمًا بمنأى عن الشبهات ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ ولكننى سأسمح لك بقتله قريبًا ، ومن الضرورىّ أن تترك له هديتك وتهرب فى المرّة القادمة ، فأمثال ذلك الرجل يشتمُّون الخطر عن بعد ، والوسيلة الوحيدة للتأكّد من موته ، هى أن تراه جثة هامدة بالفعل .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ وسيحدث هذا قريبًا جدًّا ..

* * *

راح (ممدوح) يتابع عروض الفرقة الاستعراضية الغنائية ، فى أحد الملاهى ، حتى انتهت من تقديم فقراتها ، ثم اتجه نحو أحد العاملين فيها ، وسأله :

ـ هل يمكننى مقابلة (دونا بيكر) ؟

تطلَّع إليه العامل شذرًا ، وقال :

ـ انتظر هنا .

لم تمض لحظات حتى حضرت شقراء، راحت تتأمَّل (ممدوح) فى حَذَر ، ثم قالت :

ـ هل طلبت مقابلتى ؟

ممدوح :

ـ نعم .. أنا (ممدوح كامل) .. صديق رجل الأعمال الأُردنّى (واصف الحسينى) .

بدا الاضطراب على وجه الفتاة ، لدى سماعها اسم (واصف) ، إلّا أنها لم تلبث أن تمالكت نفسها فى سرعة ، وقالت :

ـ معذرة .. ليس لدىَّ وقت للحديث فى هذا الشأن .

ممدوح :

ـــ ولكننى أعلم أنه كان صديقًا لك ، ولقد اختفى فجأة ، وأظنك تقدرين أهمية الحصول على أية معلومات بشأنه .

رمقته الفتاة بنظرة مرتابة ، وغمغمت :

ـــ أأنت من رجال الشرطة ؟

ممدوح :

ـــ لا .. إننى صديقه فحسب ، وبيننا مصالح مشتركة ، فأنا أيضًا رجل أعمال .

تظاهرت الفتاة بالهدوء ، وهى تقول :

ـــ حسنًا .. لست أظن حديثنا سيكون مُجدِيًا هنا .. أيمكنك الحضور إلى منزلى الليلة ؟

ممدوح :

ـــ بالتأكيد .

الفتاة :

ـــ حسنًا .. سأنتظرك فى الثانية عشرة مساءً .

وأخرجت من حقيبتها الصغيرة بطاقة ، ناولتها له قائلة :

ـــ هاك عنوانى .

دسَّ البطاقة فى جيبه ، دون أن يلقى مجرَّد نظرة على محتوياتها ، وقال :

ـــ إننى أعرفه .. سأحضر فى الموعد تمامًا ، وشكرًا مقدمًا على تعاونك .

وفى منتصف الليل تمامًا ، كان يضغط زِرَّ جرس منزلها ، وعلى الفور فتحت له الفتاة الباب ، ودعته إلى الدخول بابتسامة عذبة ، ولم يكد يفعل ، حتى أغلقت الباب خلفه ، ثم انتحت جانبًا فى سرعة ..

وفجأة ، أطبقت قبضة فولاذية على ياقة سترته ، وأخرى على حزامه ، ووجد نفسه يقفز مرغمًا فى الهواء ، ويرتطم بالأريكة التى تتوسَّط رَدْهَة المنزل ، ثم يسقط معها أرضًا ..

وعندما نهض فى سرعة ، أدرك سرَّ ما حدث ..

لقد كان يواجه ذلك الغوريلا البشرى الأبكم ..

وفى يد ذلك الغوريلا ، كان هناك شىء يلتمع ..

كان خنجرًا ضخمًا ..

* * *

قفز (ممدوح) جانبًا ، متفاديًا النَّصل الحاد ، الذى مزَّق جزءًا من سترته ، وكاد ينفذ إلى إحدى أضلاعه ، واستغلَّ قوَّة اندفاع خصمه ، وانحناءه إلى الأمام ، وركله فى ذقنه بمقدِّمة حذائه ، بكل ما يمتلك من قوَّة ..

وأطاحت الركلة بالرجل بعيدًا ، فاستغلَّ (ممدوح) الفرصة ، وقفز من فوق الأريكة ، وانقضَّ على خصمه ، وجثم على صدره ، وأمسك معصم يده الممسكة بالخنجر ، وانهال على فكّه بلكمات عنيفة ، إلا أن خصمه ظلّ متماسكًا لوعيه ، وأطبق بأصابعه على عنق (ممدوح) ودفعه إلى أعلى فى قوّة هائلة ، حتى تبدّل الوضع ، فوجد (ممدوح) نفسه ملقًى أرضًا ، والرجل يجثم على صدره ، وأصابعه الفولاذية حول عنقه ، تكاد تسلبه حياته ، إلّا أن هذا لم يمنعه من مواصلة الإمساك بقبضة الرجل المُطبِقة على السكّين ذى النَّصْل الحاد ، فقد كان يعلم أن التخلّىَ عنها يَعْنى منح غريمه وسيلة أخرى لقتله ، بخلاف الخَنْق ..

وفجأة ، جمع (ممدوح) كل قوّته فى قبضته الأخرى ، وهوى بها كالقنبلة على فكّ خصمه ، الذى ترنّح من شدة الضربة ، وتراخت أصابعه حول عنق (ممدوح) ، ولمح (ممدوح) إناء زهور زجاجيًا محطمًا ، على مَقْرَبَة منهما ، وأدرك أنه كان يستقر فوق تلك المائدة ، التى قلبها صراعه مع الرجل ، فهوى بيد خصمه ، القابضة على الخنجر ، فوق القطع الزجاجية الحادّة المكسورة ..

وأطلق الغوريلا صرخة ألم هائلة ، وتخلّى دفعة واحدة عن خنجره ، وعن عنق (ممدوح) ، وراحت الدماء تسيل من جراحه فى غزارة ، فانتهز (ممدوح) الفرصة ، ودفع قدميه فى صدر خصمه ، ثم حمله بساقيه فى قوّة ، وألقاه خلفه فى عنف ، واعتدل جالسًا ، وهو يتحسّس عنقه بيده ، بعد أن كاد غريمه يعتصره اعتصارًا ، وأدرك أن خصمه سيتحوّل بعد إصابته إلى نمر هائج ..

وكان على حق ..

لقد حوّلت الدماء والجراح الرجل إلى وحش شرس ، انقضّ على (ممدوح) فى ثورة ، ولكن بطلنا كان قد استعاد توازنه ، وسيطرته على نفسه ؛ لذا فقد استغلّ اندفاع الرجل وتهوّره ، ووضع كتفه أسفل إبط الرجل ، وثنى ركبتيه قليلاً ، ثم اعتدل رافعًا خصمه فوق ظهره ، وألقى به أرضًا فى عُنف ..

وفى هذه المرّة ، اندفعت يد الغوريلا نحو سترته ..

وأدرك (ممدوح) ما يَعْنيه هذا ..

وعلى الرغم من التعليمات المشدّدة لديه ، أخرج الرجل من جيب سترته مسدّسًا ، وصوّبه نحو (ممدوح) ، متجاهلًا ما يمكن أن يثيره دوىّ الرصاصة من ضجّة ، ومن قلق



ودفع قدميه فى صدر خصمه ، ثم حمله بساقيه فى قوّة ، وألقاه خلفه فى عنف ..

يكرهه (ميشيل) ، الذى يحرص دوْمًا على القضاء على خصومه فى هدوء ، إلاّ أن (ممدوح) كان أكثر حرصًا على هذا الهدوء ، حتى لايجذب انتباه الشرطة البلچيكية على الأقل ؛ ولهذا فقد قفز جانبًا ، فور رؤيته المسدَّس ، والتقط خنجر خصمه ، الملقى أرضًا ، وألقاه نحو الرجل ، ليستقر الخنجر حتى مقبضه فى صدر الغوريلّا ، الذى جحظت عيناه فى ألم وذُهُول ، ثم سقط جثة هامدة ..

وأطلق (ممدوح) صفيرًا طويلًا ، وهو يتطلّع إلى جثة خصمه ، قائلًا :

ــ يالها من معركة !.. لا ريب أن (ميشيل) سيحزن كثيرًا لفقدان طفله البرىء هذا ، فلا ريب أنه كان يتفاءل بوجهه البشوش .

ثم تطلّع حوله ، قائلًا :

ــ والآن فلنبحث عن تلك الشقراء الفاتنة ، فلا ريب أن لديها الكثير لتخبرنى به ، بعد أن ثبت تورُّطها مع (ميشيل) وأتباعه .

راح يبحث عنها فى الشقة كلها ، دون أن يعثر لها على أثر ، حتى وصل إلى المطبخ ، ووجد بابه الخلفى يقود إلى سُلَّم حلزونىّ ، يؤدّى إلى شارع جانبىّ ، فعاد يفحص الشقة ،

ويفتش حجراتها ، إلى أن عثر على بعض الأوراق والصُّوَر ، التى تؤكِّد علاقة الفتاة بـ (واصف) ، وعلى مذكراتها ، التى راح يقلِّب محتوياتها ، حتى وجدها وقد كتبت فى إحدى صفحاتها :

— « مرَّ أسبوع منذ اختفى (واصف) ، ولست أدرى ماذا أصابه ، وأخشى أن يكون قد تعرَّض لمكروه .. » ..

وفى صفحة أخرى ، وجدها تقول :

— « ذهبت اليوم إلى (ميشيل دارك) ؛ لسؤاله عن (واصف) ، فلدىَّ شعور قوىَّ أنه يعرف أين هو ؟ ولكن (ميشيل) لم يرشدنى إلى شىء قطُّ » ..

وفى نهاية المذكرات ، وجدها تكتب :

— « هناك شىء يخيفنى ويقلقنى بشأن (ميشيل دارك) .. فهو يبدو لى غريبًا .. غريبًا إلى حدٍّ محيِّر .. » ..

طوى المذكرات ، وهو يغمغم :

— ما معنى هذا ؟..

ثم وضع المذكرات فى جيب سترته ، مردِّدًا :

لندع الأسئلة فيما بعد ، أمَّا الآن فيتعيَّن علىَّ أن أغادر هذا المكان بأقصى سرعة ..

وعندما غادر المكان ، كان هناك شىء كبير يملأ رأسه .. شىء اسمه الحَيْرة ..

* * *

٦ ـ أنياب الشيطان ..

توقَّفت سيارة فارهة فاخرة ، فى ميناء صغير ، وأطلَّ من نافذتها الخلفية وجه (ميشيل دارك) ، الذى ألقى نظرة طويلة على المكان ، قبل أن يلقى سيجارته ، ويغادر سيارته ، وعندئذ تحرَّك نحوه رجل ، كان من الواضح أنه ينتظره منذ زمن ، ومدَّ يده يصافحه قائلًا :

— مسيو (ميشيل) .. لقد تأخرت قليلًا .

صافحه (ميشيل) ، وهو يقول :

— إنما هى بضع دقائق فحسب .

أجابه الرجل :

— أنت تدرك أهمية الدقائق فى عملنا هذا يا مسيو (ميشيل) .. إن مسيو (شيرود) ينتظرك .

بدت الدهشة على وجه (ميشيل) ، وهو يقول :

— (شيرود) ؟!.. ظننت أننى سألتقى بالزعيم !..

ارتسم تعبير ساخر على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تعتبر أنك قابلته ، فمسيو (شيرود) هو الرجل الثانى فى المنظمة ، وكلمته هى كلمة الزعيم نفسه ..

غمغم (ميشيل) معترضًا :

ـ ولكن .....

قاطعه الرجل فى حسم :

ـ مسيو (ميشيل) .. دعْنا لا نضيّع المزيد من الوقت ، فمسيو (شيرود) لن ينتظر طويلًا .

اصطحبه الرجل إلى حيث استقلا زورقًا بخاريًا ، شقَّ بهما عُباب البحر إلى حيث استقرَّ يخت فاخر ، صعد (ميشيل) فى سُلَّمه المعدنىّ إلى سطحه ، فاستقبلته ثلاث من الغيد الحِسَان ، وكل منهنّ ترتدى ثوب بحر صغيرًا ، وتمسك بيدها مدفعًا آليًا ، وأشارت له إحداهن ليصحبها إلى أسفل ، حيث قمرة تحوى أفخر الأثاث وأحدثه ، وقالت وهى تقدّم له شرابًا :

ـ سيحضر مسيو (شيرود) بعد قليل .

تناول (ميشيل) سيجارًا من عُلبة ذهبية على المائدة ، وأشعلها دون أن يهتمّ كثيرًا بمظاهر البذخ الشديد من حوله ، فقد كان ذهنه قلقًا ، بسبب الدعوة المفاجئة ، التى وصلته من قيادة المنظمة ، والتى طلبت منه ضرورة مقابلة شخص هام ، فى يخت الرجل الثانى بالمنظمة ..

وراح يتساءل عما يعنيه ذلك ، وهو يتطلّع إلى لوحة تملأ الجدار المقابل له ..

كانت اللوحة عبارة عن أفعى بشعة ، برزت أنيابها الرهيبة ، وبلغ فكّها المفتوح أقصى اتساعه ، وقد انتفخ عنقها على نحو عجيب ، وكأنها قد ابتلعت حيوانًا ضخمًا على التوّ ..

ونقّل (ميشيل) بصره من اللوحة إلى نقش يماثلها تمامًا ، على خاتم فى إصبعه هو شخصيًّا ، وغمغم فى صوت منخفض للغاية :

ـ ياله من شعار !!

ويبدو أن ذلك البدين الأصلع ، ذو اللّحية القصيرة ، الذى ولج القمرة فى نفس اللحظة ، كان يمتلك سمعًا حادًا للغاية ، فقد قال :

ـ ألا يَرُوقك شعار منظمتنا ؟

ارتبك (ميشيل) ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، قائلًا فى اضطراب :

ـ مسيو (شيرود) .

لم يهتم (شيرود) بمصافحته أو تحيّته ، بل تابع وهو يصبّ لنفسه كأسًا :

— إننى أتفق معك فى أنه شعار مخيف بعض الشىء ، ولكن هذا هو المقصود ، فأنيابنا أيضًا حادَّة قاتلة ، تبلغ أعداءنا ، أينما كانوا ، لتفتك بهم بلا رحمة ؛ ولهذا حملت منظمتنا اسم (الكوبرا) ، ولا ريب أنك تعلم ذلك(*) .

ميشيل :

— نعم أعلم ذلك ، ولكننى أجهل سرّ هذه الدعوة الغامضة ، التى تتجاوز اجتماعاتنا المعتادة ، فى نادى رجال الأعمال بمزرعتى .

جلس (شيرود) ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يرمق (ميشيل) بنظرة حادَّة ، قائلًا :

— إننا نلتقى بك وقتما نشاء يا مسيو (ميشيل) ، ودون حاجة إلى رأيك ، وأنت تعلم ذلك منذ تعهَّدنا أمرك ، ورفعناك من الفقر والصعلكة إلى مصافّ رجال الأعمال .. هل نسيت ذلك ؟

احتقن وجه (ميشيل) ، وهو يقول :

(*) راجع العدد (٤٠) .. (كهف الشيطان) ، حيث التقى (ممدوح) بمنظمة (الكوبرا) لأوّل مرّة .

— لا .. لم أنس .

شيرود :

— هذا أفضل ، فلا يجب أن تنسى فضل المنظمة عليك أبدًا .

ميشيل :

— ما الداعى لترديد هذا القول الآن ؟

شيرود :

— إنك تخفى عنّا تحركاتك فى الآونة الأخيرة ، وتحتفظ لنفسك ببعض الأسرار ، دون أن تُطلع الزعيم عليها ، وهذا خطأ بالغ فى عرفنا .

ميشيل :

— ولكننى لم أخفِ عنكم شيئًا .. كل صفقات الأسلحة ، التى أقوم بتهريبها إلى الشرق الأوسط ، أطلعكم عليها ، وأنا ألتزم بتعليماتكم تمامًا فى هذا الشأن .

شيرود :

— لسنا نقصد صفقات الأسلحة فقط ، ولكن كل ما يمكن أن يثير المشاكل لك ، وبالتالى لنا .

ميشيل :

— ماذا تعنى ؟

شيرود :

ــ لقد كنت أمينًا معنا ، عندما أطلعتنا على الدّوْر الذى حاول أن يلعبه معك عميل المخابرات الأردنيّة ، ولكنك لم تستمر على أمانتك إلى النهاية ، فلم تطلعنا على وسيلة تخلُّصك منه .

ميشيل :

ــ ولكننى فعلت !

شيرود :

ــ فقط عندما طلبنا منك ذلك .

ميشيل :

ــ كنت أتصوَّر أننى ، كعميل كبير للمنظمة ، أتمتع بقدر من حرية الحركة والتصرُّف .

شيرود :

ــ ليس فيما يتعلَّق بأمن المنظمة .. لقد منحناك مطلق الحرية فيما يخصُّ أعمالك التجارية ؛ التى ساعدناك على مزاولتها ، كستار لتجارة الأسلحة ، أما فيما يختصُّ بدوْرك الحقيقىّ ، وما يتهدّده من مخاطر ، فليس لك حرية التصرُّف بشأنه ، فلقد تصرَّفت بغباء ، عندما دفعت حارسك الخاص

لقتل الأردنىّ ، وتشويه ملامحه ، ثم إلقائه فى النهاية فى مخزن خمور مهجور ، فنحن لا نتخلّص من أعدائنا بتلك الوسائل البدائية السخيفة ، ولولا تدخُّل الزعيم ، وأوامره باستخراج شهادة وفاة مزيَّفة للأردنى ، ودفنه فى جنازة مهيبة ، بإحدى مقابر المدينة ، تحت اسم وهمىّ ، لترتبت على أسلوبك الهمجىّ أخطاء قاتلة ، فحساباتنا تختلف عن حساباتك كثيرًا ، عندما يتعلَّق الأمر برجال المخابرات .

ميشيل :

ــ لقد وعيت الدرس ، ولن أكرِّر الخطأ .

شيرود :

ــ ولكنك كرّرته بالفعل ، فلم تخبرنا بأمر الرجل الذى يلاحقك الآن ، والذى قتل تابعك الأبكم ، عندما أطلقته خلفه ، مثلما فعلت مع (واصف) .

جفَّف (ميشيل) عرقه فى توتُّر ، وهو يقول :

ــ كنت بصدد إخباركم بالفعل ، فهو يُدعى (ممدوح كامل) ، ويلوح لى أنه بدوْره أحد رجال المخابرات العربية .

ابتسم (شيرود) فى سُخرية ، وهو يقول :



تضاعف قلق (ميشيل) ، وهو يستمع إلى تلك المعلومات ، فلم يتصوَّر أبدًا أن يكون (ممدوح) على هذه الدرجة من الخطورة ..

ــ بل اسمه (ممدوح عبد الوهاب) ، وهو مقدّم بإدارة العمليات الخاصة المصرية ، ورجل لا يُستهان به ، فلديه من الكفاءة والخبرة ما يجعله خطرًا حقيقيًا على المنظمة كلها .
وبيننا وبينه ثأر قديم ، بعد أن أحبط واحدة من أهم عملياتنا ، وتسبَّب فى القضاء على أهمّ رجالنا بالمنظمة .

تضاعف قلق (ميشيل) ، وهو يستمع إلى تلك المعلومات ، فلم يتصوَّر أبدًا أن يكون (ممدوح) على هذه الدرجة من الخطورة ، وضاعف هذا من كراهيته وبُغضه له ، بعد أن تسبَّب فى مقتل حارسه الأبكم ، و (شيرود) يضيف :

ــ أرأيت مدى حاجتك إلينا ؟.. إن ما لدينا من معلومات غير متوافر لك ، وتقييمنا للأشخاص يختلف .

ميشيل :

ــ مهما كانت خطورة هذا الرجل ، أعدكم بالقضاء عليه ، فما زال لدىّ عدد كافٍ من الرجال ، وسوف .....

قاطعه (شيرود) :

ــ دع أمر القضاء عليه لنا ، فكما أخبرتك ، بيننا ثأر قديم .

ميشيل :

ـــ ولكننى أحذرك .

شيرود :

ـــ هذا صحيح ، ولكننا سنعالج الأمر بأنفسنا ، أما أنت فستلتقى بعد يومين بعميل جديد ، للاتفاق على تهريب شحنة أسلحة جديدة إلى (دمشق) ، وعليك أن تلجأ إلى وسيلة مبتكرة هذه المرّة ، فأجهزة الأمن العربية مفتوحة الأعين فى شدة هذه الأيام ، ولا تحاول إخفاء أى أمر عنّا مرّة أخرى ، مهما بدا لك بسيطًا ، وإلّا تعرّضت لمتاعب جمّة ، فالزعيم لن يغفر لك خطأ آخر .

ميشيل :

ـــ حسنًا .. أهناك أوامر أخرى ؟

شيرود :

ـــ نعم .. لا تنس اجتماعنا القادم فى مزرعتك .

تمتم (ميشيل) ، وهو يغادر المكان ، غير مصدّق أنه ما يزال على قيد الحياة :

ـــ لن أنسى .. حتمًا لن أنسى .

وانطلق وكأنما تطارده شياطين الأرض كلها ..

* * *

٧ ـــ مُطارَدَة مُثِيرَة ..

انطلق (ممدوح) بسيارته فى سرعة رهيبة ، عَبْرَ طريق يشُقُّ سهلين متوازيين ، احتشدا بالأشجار ، وقد عقد العزم على اللّحاق بفتاة الاستعراض الشقراء ، التى يؤمن بأنها تعرف الكثير من الأسرار ، التى ستفيده حتمًا فى مهمّته ، فقد دلّته المعلومات التى جمعها عنها ، إلى أنها فى طريقها لعبُور الحدود الفرنسية البلجيكية ، بعد أن أنهت تعاقدها مع فرقتها الاستعراضية بغتة ..

واستغرقه التركيز الشديد ، خلال القيادة المسرعة ، حتى أنه لم يشعر بتلك الهليوكوبتر التى تتبعه ، إلّا بعد أن صارت على ارتفاع مترين من سقف سيارته ، فأطلّ عليها من نافذة السيارة ، وتجمّدت الدماء فى عروقه ..

كان هناك رجل فى الهليوكوبتر ، يصوّب إليه بندقية ذات منظار ، ويضغط زِنادها ..

وبمعجزة ، تفادى (ممدوح) تلك الرصاصة الأولى ، التى مرقت فوق رأسه ، وأصابت زجاج السيارة الأيسر ..

وأدرك (ممدوح) أنه هالك لا محالة ، مالم يشحذ كل خبرته ، وحسه المرهف ، لمواجهة هذه اللحظات ، التى يتربص الموت به فى كل ذرّة منها ..

وبسرعة ، التقط حقيبته الجلدية من المقعد المجاور ، وقفز خارج السيارة ، وراحت الرصاصات تلاحقه ، وهو يتدحرج فوق السهل الأخضر ، محتضنًا الحقيبة فى قوة ، فى حين أصابت رصاصات القنّاص السيارة ، فاشتعلت فيها النيران ، قبل أن يستقر جسد (ممدوح) بين عدد من الأشجار المتشابكة ، ورأى الهليوكوبتر تستدير عائدة إليه ..

وفى الهليوكوبتر ، هتف قائدها مُحنقًا :

ـــ اللعنة !! لقد اختفى عن بصرنا .. لن يرضى مسيو (شيرود) عن هروب هذا الرجل أبدًا ، فقد أمر بقتله بأىّ ثمن .

أجابه القنّاص :

ـــ الغابة ليست كبيرة على أية حال ، دعنا نحوم بالطائرة ، على ارتفاع قريب من قمم الأشجار ، حتى تحين فرصة اقتناصه ، وأعدك ألّا أفشل هذه المرّة .

حلقت الهليوكوبتر فوق الأشجار الكثيفة المتشابكة ،

وراح القنّاص يبحث بمنظاره المقرّب عن (ممدوح) ، فى كل الاتجاهات ، فى حين كان هذا الأخير مختفيًا خلف أوراق شجرة عريضة ، يراقب حركة الهليوكوبتر بدوره فى حرص وحذر ، ويقول لنفسه فى سخرية :

ـــ ينبغى أن أساعد هؤلاء الأصدقاء الودودين ، بعد أن أرهقتهم إلى هذا الحد .

وفتح حقيبته الجلدية ليخرج منها أربعة أحزمة سميكة ، راح يلفُّها حول ساعديه وساقيه فى إحكام ، ثم أسرع يتسلّق إحدى الأشجار فى خفّة النمر ، واختفى بين الأوراق العريضة فى قمتها ، حتى اقتربت الهليوكوبتر من مَكْمَنه ..

كان يلعب لُعبة بالغة الخطورة ، ذات نتائج مُزدوجة ، فلو نظر القنّاص أسفله تمامًا ، ما وجد صعوبة فى تمييزه من بين أوراق الشجرة ، وما تردّد فى قتله ..

ولكن المخاطرة جزء من عمله ..

وفى اللحظة التى صارت فيها الهليوكوبتر فوقه تمامًا ، حرّك (ممدوح) مؤشرًا معدنيًا صغيرًا ، يشدُّ الأحزمة إلى بعضها البعض ، فبرزت من أطراف الأحزمة أربع كرات معدنية ملساء ، تشعُّ إشعاعًا خاصًا ، وقد كانت تختفى داخل

الأحزمة ، وهنا قفز هو من الشجرة ، وهو يفرد ذراعيه أمامه ، كما لو كان سيطير موازيًا لبطن الهليوكوبتر ، وكان من الطبيعى ، والحال هكذا ، أن يَهْوِىَ من حالق ، ويُدقّ عنقه ، إلّا أنه ارتفع بغتة ، كما لو أن قوّة قد جذبته إلى أعلى ، حيث التصقت الكتل الأربع المثبتة بباطن الهليوكوبتر ، وثبّتت جسده إليها فى قوّة ، فابتسم مغمغمًا :

— شكرًا للتكنولوجيا الحديثة

فقد كانت الكتل الأربع عبارة عن مغناطيسات بالغة القوّة والشدّة ، بحيث ألصقت جسده بباطن الهليوكوبتر فى إحكام شديدة ..

وانطلقت الهليوكوبتر عائدة إلى عشها ، بعد أن يئس راكباها من العثور على طريدتهما ، دون أن يخطر ببال أحدهما أن الطريدة على بعد خطوات ..

فى أسفل ..

* * *

٨ ـــ المخاطرة ..

حلَقت الهليوكوبتر فوق ڤيلّا تطلّ على ساحل البحر ، وهبطت لتستقر وسط فنائها الواسع ، المحاط بأحواض الزُهور ، من مختلف الأنواع ، وغادر الطيّار والقنّاص مقعديهما ، فى نفس اللحظة التى تخلّص فيها (ممدوح) من الأحزمة الجلدية ، ذات الكتل المغناطيسية ، وراح يزحف على بطنه من أسفل الهليوكوبتر ، فوق أرض الفناء الرملية ، مستغلًّا انشغال راكبَي الهليوكوبتر بمستقبليهما أمام مدخل الڤيلّا ، حتى بلغ أحواض الزُهور ، فواصل زحفه محتميًا بها ، ليبلغ أقرب نقطة إلى الڤيلّا ..

وفى نفس اللحظات ، كان (شيرود) يستقبل راكبَي الهليوكوبتر ، وهو يشعل سيجارته ، قائلًا :

— هل تخلّصتما منه ؟

أجابه القنّاص ، وهو يخفض عينيه أرضًا :

— لقد هرب .

ألقى (شيرود) سيجارته أرضًا ، وهو يهتف فى غضب :

ــ كيف ؟.. كيف سمحتما بحدوث هذا ؟

أجابه الطيَّار :

ــ لقد اختفى وسط أشجار كثيفة ، حجبته عن أعيننا .

ازدادت ثورة (شيرود) ، ولَطَمَ الطيَّار على وجهه فى عُنف ، وهو يصرخ :

ــ لن أقبل هذه الأعذار السخيفة ، ما كان ينبغى أن تسمحا له بدخول المنطقة منذ البداية .. هذا الرجل يمثل تهديدًا حقيقيًا لنا .. ارجعا إلى حيث تركتماه ، وعودا إلىَّ برأسه ، مهما كان الثمن .

لم يجد الرجلان بُدًا من الامتثال له ، فى ثورته هذه ، فعادا إلى الهليوكوبتر فى استسلام ، فى حين التفت هو إلى تابعيه ، وقال فى انفعال :

ــ هل أحضرتما الفتاة ؟

أجابه أحدهما :

ــ نعم .. إنها فى القبو .. هل نحضرها لك ؟

هتف :

ــ بل سأذهب إليها أنا .

فى الوقت الذى حلَّقت فيه الهليوكوبتر ، عائدة إلى مهمتها البائسة ، رأى (ممدوح) (شيرود) وتابعَيْه يدورون حول الفيلا ويتوقفون أمام نافذة صغيرة مغلقة ، فى مستوى سطح الأرض ، لها حلقة معدنية ، أمسك بها أحد التابعَيْن ، وجذبها إلى أعلى ، فارتفعت النافذة كلها ، كاشفة عن سُلَّم حجرىّ صغير ، وتقدَّم (شيرود) ؛ ليهبط فى درجات السُّلَّم ، فى طريقه إلى القبو ، يتبعه تابعاه ، وقد ترك ثلاثتهم النافذة مفتوحة خلفهم ، فأسرع (ممدوح) يعبُر أحواض الزُّهور إليها ، وعبَرَها بدوره إلى القبو دون تردُّد ، ورأى داخل القبو كمية هائلة من زجاجات النبيذ ، تشير إلى أن هذا القبو مخصص لحفظها ، وفى نهايته رأى فتاة مقيَّدة بالحبال ، حجب عنه ظهر (شيرود) وجهها ، وهذا الأخير يقول لها :

ــ إذن فقد كنت تزمعين الفرار !! .. أنسيت أننا نستطيع الوصول إليك ، حتى ولو ذهبت إلى نهاية العالم ؟

أجابته الفتاة فى وَجَل :

ــ كنت خائفة .

لم تكن الفتاة سوى (دونا بيكر) ، فتاة الاستعراض ، وكان (شيرود) يقول لها فى صرامة :

— لقد كلّفناك التجسُّس على (واصف الحسينى) ، ولكنك وقعت فى حُبّه ، وأخفيت عنّا بعض الحقائق بشأنه ، ثم تركت (ميشيل) ينهى أمره فى حماقة .

الفتاة :

— ولكننى نفذّت تعليماتكم حرفيًا ، عندما طلب منّى (ميشيل) إحضار الآخر إلى منزلى ، ليقضى عليه هناك ، وأنتم سمحتم لى بهذا .

شيرود :

— ولكنك ولّيت هاربة بعدها .

الفتاة :

— كنت خائفة ، فالصراع بين ذلك الرجل والأبكم كان رهيبًا ، أعاد إلى ذهنى أسلوب تخلّصكم من (واصف) ، مما أصابنى بالرُّعب ، وشعرت بالضّعف والرّغبة فى الفرار من كل شىء ، ومن تلك الدائرة الجهنمية ، التى تحاصروننى فيها .

قال (شيرود) فى قسوة :

— ينبغى لمن يعمل معنا ألاّ يخضع للخوف والضّعف والعواطف .. إننا لانغفر الخطأ نفسه مرّتين .

ثم أشار إلى أحد الرجلين المصاحبين له ، مستطردًا :

— تولَّ أمرها .

صرخت الفتاة فى رُعب ، وقد أدركت مغزى القول والإشارة :

— لا .. لاتقتلنى .. دعنى أحيا ، وسألتزم بكل تعليماتكم وأوامركم .

تطلّع إليها (شيرود) فى استخفاف ، قائلًا :

— فات الأوان ياعزيزتى .

وسار مع تابعه الثانى إلى الخارج ، فى حين أخرج الأوّل مسدّسه ، واتجه نحو الفتاة ..

واختفى (ممدوح) بين زجاجات النبيذ والبراميل الخشبية ، حتى غادر (شيرود) والرجل الآخر القبو ، وتطلّع إلى الرجل الباقى ، الذى ضغط جانبى فكّ الفتاة فى قسوة ، حتى أجبرها على فتح فمها ، وهى تصرخ فى رُعب ، ثم دفع فوّهة مسدّسه بين أسنانها فى برود ، وقد ارتسم على وجهه تعبير بارد ، لايحمل أيّة عاطفة على الإطلاق ، ولكن قبل أن يضغط زناد مسدّسه ، هوَت زجاجة نبيذ على يده ، وتحطّمت ، ومزّقت بعض شظاياها معصمه ، فأطلق شهقة ألم ودهشة ومسدّسه يسقط من يده ، ثم هوَت قبضة (ممدوح) على فكّه ، وأنهت القبضة الأخرى القتال بضربة كالقنبلة ، سقط لها الرجل فاقد الوعى ..



ثم دفع فُوّهة مسدّسه بين أسنانها فى برود ، وقد ارتسم على وجهه تعبير بارد ..

وحلّ الذُهول محلّ نظرة الرُعب ، فى عينى الفتاة ، عندما أسرع (ممدوح) يحلّ وثاقها ، قائلًا :

ــ أنت محظوظة لوصولى فى الوقت المناسب .

قالت فى مزيج من الرُعب والذُهول :

ــ ولكن .. كيف ؟!.. إننى .....

قاطعها فى حزم :

ــ ليس هذا وقت الاستفسارات .. علينا أن نغادر المكان أوّلًا ، وبعدها سأطرح أنا عليك بعض الأسئلة ، متغاضيًا عن تعاونك معهم لقتلى .

هتفت ، وقد تخلّصت من وثاقها :

ــ أتظن أنك ستنجح فى مغادرة هذا المكان ؟.. إنهم لن يسمحوا لنا أبدًا .

أجابها :

ــ ساعدينى أوّلًا فى إحكام وَثاق هذا الرجل ، واتركى لى مهمّة مغادرة المكان ، فقد كنت تواجهين الموت منذ لحظات ، ولن تجدى ما هو أسوأ من ذلك .

ساعدته على تكبيل الرجل بالحبال ، وبعدها تناول هو مسدّس الرجل ، ودفعه إليها ، قائلًا :

ــ أتجيدين استخدامه ؟

أجابته :

ـ نعم .. ولكن .....

قاطعها فى حسم :

ـ حسنًا .. احتفظى به ، واتبعينى .

دفع النافذة الخشبية إلى أعلى ، وثنى ركبتيه ؛ ليلقى نظرة على المكان فى الخارج ، ثم لم يلبث أن أشار إلى الفتاة أن تتبعه إلى الخارج ، وهرولت الفتاة خلفه ، وزحفت مثله بين أحواض الزُّهور ، فى طريقهما إلى البوَّابة ، حتى توقَّف زحفهما بغتة ، عندما اعترضهما ثلاثة من المسلحين . قطعوا طريقهما على نحو مباغت ، وهم يصوِّبون إليهما أسلحتهم ، وأحدهم يقول فى غِلظة :

ـ يمكنك أن تدفن مسدسك ومسدس زميلتك فى الرمال ، وتتبعانا ، لو أنكما مازلتما تحرصان على حياتكما .

أدار (ممدوح) رأسه إلى الفتاة ، وقال فى سُخرية لا تناسب الموقف :

ـ أنت تحرصين على حياتك .. أليس كذلك ؟.. دعينا إذن نطيع أوامرهم .

وألقى مسدسه أرضًا ، ونهض واقفًا ، وهو ينفض الرمال عن ثيابه ، وحذت الفتاة حذوه فى استسلام ومرارة ..

وفجأة ، فى أثناء تظاهره بنفض الرمال عن ثيابه ، أدار (ممدوح) أحد أزرار قميصه على نحو عكسىّ ، فانطلق من الزِّرِّ ضوء مُبهر مباغت ، أغشى أعين خصومه ، فرفعوا أذرعتهم على نحو غريزى ؛ لحماية وجوههم وأعينهم ، وهنا هوَى (ممدوح) على فكِّ أقربهم إليه بلكمة ساحقة ، وانتزع مدفعه الآلى ، وأطلق منه عدة رصاصات على الآخرين ، وأسقطهم أرضًا ، ثم جذب الفتاة من يدها ، وانطلق يعدو بها نحو البوَّابة ..

كان هذا هو الأمل الوحيد ..

أن يعبُر تلك الأنياب ..

أنياب الأفعى ..

* * *



٩ ــ استنتاج محيِّر..

انهالت الرصاصات خلف (ممدوح) و (دونا) ، وهما يعدوان عَبْر الفناء الكبير ، نحو بوَّابة الڤيلّا ، واعترض طريقهما رجلان مسلَّحان آخران ، أزاحهما (ممدوح) برصاصاته عن الطريق على الفور ، وطلب من (دونا) أن تضغط الزِّر المجاور للبوَّابة ، وهو يحمى ظهرها برصاصات مدفعه ، حتى انفتحت البوَّابة ، واندفع مع الفتاة عَبْرها ، وهو يواصل إطلاق النار على خصومه فى سخاء ، مخلِّفًا حالة من الفوضى داخل الڤيلّا . وبعدها ضاعف من سرعته ، وهو يطالب الفتاة ببذل أقصى طاقتها للَّحاق به ، بعد أن بلغ مسامعه صوت محرِّك سيارة ، يشير إلى استعدادهم لمطاردته عَبْر الطريق الساحلىّ ، فاختار طريقًا وعرًا جانبيًا ، أملًا فى أن تعجز السيارات المطاردة عن ملاحقته ، إلّا أن الفتاة لم تلبث أن توقَّفت ، ووضعت يدها على صدرها ، وهى تلهث فى قوة ، فتوقَّف بدوْره ، يهتف بها :

ــ لا وقت للتوقُّف .. تحاملى على نفسك ، ولنواصل الابتعاد عن هذا المكان ، بكل ما يمكننا من جهد .

هتفت وهى تلهث فى شدة :

ــ لَمْ أَعُد أستطيع .. لَمْ أَعُد أستطيع .

ممدوح :

ــ يجب أن تحاولى .. إنهم يجِدُّون فى أثرنا .

حاولت أن تواصل العَدْو ، إلّا أنها لم تلبث أن تهاوت أرضًا ، وقد أعياها التعب ، فى حين تعالى صوت محرِّك السيارة ، يشفُّ عن اقترابها . فوقف (ممدوح) حائرًا ، لا يدرى ماذا يفعل ، وهو يجهل إحداثيات المكان ، وإلى جواره فتاة منهارة ..

ولم يكن هناك سوى حل واحد مرير ..

الاستسلام ..

* * *

شعر (ممدوح) بشىء من الدهشة فى البداية ، عندما أحاط رجال (شيرود) عينيه وعينى الفتاة بعصابتين سميكتين . فقد كان من غير المنطقى أنهم يفعلون هذا لإخفاء الڤيلّا عنهما ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن السيارة قد تجاوزت

الفيلا ، وأنها تسير فى طريق أكثر اتساعًا ، وأدرك على الفور أنهم ينقلونه مع الفتاة إلى جهة أخرى ، وأنهم يمتلكون عدة أوكار داخل (بلجيكا) وحدها ، وربما مئات الأوكار الأخرى ، فى مختلف بلدان العالم ، وهذا يعنى أنه لا يواجه تاجر سلاح قويًا محترفًا فحسب ، بل منظمة إجرامية رهيبة ، تتمتع بنفوذ واسع قوى ..

وبعد ساعة كاملة من الانطلاق ، توقفت السيارة ، وسمع (ممدوح) صرير أبواب معدنية تُفتح ، ثم واصلت السيارة سيرها قليلًا ، وتوقفت مرة أخرى ، حيث تم إنزاله و (دونا) منها ، فقال فى سخرية :

ـ أظن أنه يمكننى الآن نزع تلك العصابة السوداء ؛ لأرى ذلك المتنزه الجميل ، الذى جئتم بنا إليه ، لقضاء عطلة الصيف .

قال هذا وهو يمد يده إلى العصابة السوداء ، فى محاولة لاختلاس نظرة سريعة على المكان ، ولكنه تلقى ضربة قوية على رأسه ، وسمع الفتاة تطلق صرخة ألم ، تشير إلى أنها قد تلقت ضربة مماثلة ، قبل أن يسقط أرضًا .. ويفقد الوعى ..

* * *

لم يدر كم بقى فاقد الوعى ، ولكنه عندما استعاد وعيه كان ملقى أرضًا ، ويداه مُوثقتان خلف ظهره ، وكانت الفتاة مُلقاة على قيد بوصات منه ، لم تسترد وعيها بعد ، ويداها مُوثقتان خلف ظهرها بدورها ، ولقد شعر نحوها بشىء من الشفقة ، على الرغم من الفخ الذى قادته إليه فى منزلها من قبل ؛ ولكنه كان واثقًا من أنها قد فعلت ذلك تحت تأثير قوة ونفوذ لا قبل لها بهما ، ولا تملك سوى الخضوع لهما ..

وتبين له أنهما يرقدان داخل حجرة عتيقة الطراز ، بالغة القدم ، وبينما هو يتأملها ، استعادت الفتاة رشدها ، وغمغمت فى ألم :

ـ أين أنا ؟

أجابها فى هدوء :

ـ إننا مسجونان داخل حجرة صغيرة ، فى مكان بُنِىَ فى القرن الثامن عشر على الأرجح .

حاولت أن تحرك ذراعيها ، فأضاف :

ـ ولا فائدة من المحاولة ، فلقد أوثقوا أيدينا خلف ظهرينا ، ولن تضيف المحاولة إلا المزيد من آلام رأسك .

قالت الفتاة فى أسف ومرارة :

— لاريب أنك تحقد علىَّ كثيرًا ، فلولا تدخلك لمساعدتى ، وعدم قُدرتى على مواصلة الفرار لـ......

قاطعها فى حزم :

— لا داعى للأسف ، فلم أهبَّ خصيصًا لمساعدتك ، وعلى الرغم من ذلك ، فأنت مَدينة لى بالعديد من التفسيرات ، ولعل إنقاذى لك يعُود إلى رغبتى فى الحصول على تلك التفسيرات ، أما عن عدم قُدرتك على مواصلة العَدْو ، فما أظنها كانت ستفيدنا كثيرًا ، فلقد كانوا يطاردوننا بسيارة قوية ، وكانوا يعرفون المكان أكثر منّا كثيرًا ، وما كنّا لنفلح فى الفرار منهم .. والآن هل أنت على استعداد ؛ لمَنْحى تلك التفسيرات ، والإجابة عن أسئلتى .

قالت فى يأس :

— أتظننا سنحيا لنفيد من الإجابات ؟

ممدوح :

— مَنْ يدرى ؟.. إننى أكره اليأس على أيّة حال .

دونا :

— سأجيب عن أسئلتك إذن ، لو أجبتنى أوّلا من أنت ؟. ولحساب من تعمل ؟. وماهدف قدومك إلى هنا ؟.

ممدوح :

— اسمى (ممدوح عبد الوهاب) ، مقدّم بإدارة العمليات الخاصة المصرية . أما الهدف الذى أتيت من أجله ، فهو تعقُّب المصدر الذى تتم عَبْره عمليات تهريب الأسلحة إلى الوطن العربى .. أتروقك هذه المصارحة ؟

قالت فى دهشة :

— تجارة وتهريب أسلحة ؟!.. لم أتصوَّر أبدًا أن هذا يدخل ضمن نطاقهم .

ممدوح :

— من هم ؟

الفتاة :

— ألا تعرف من تواجه ؟

ممدوح :

— كنت أظن أننى أواجه (ميشيل دارك) وحده .

دونا :

— خطأ .. (ميشيل دارك) هذا ليس سوى أحد أعضاء المنظمة . ذات الأنشطة المتعدِّدة .. منظمة تُدعى (الكوبرا) .

هتف (ممدوح) :
— (الكوبرا) ؟!.. يالها من مفاجأة !
سألته الفتاة فى فُضول :
— هل تعرف تلك المنظمة ؟
أجابها والدهشة لم تفارقه بعد :
— لقد سبق لى أن التقيت ببعض أعضائها ، ولا تزال ذكرى هذا التعارف محفورة فى ذهنى وأذهانهم ، ولكننى كنت أظن أن نشاطهم قد توقَّف ، بعد عملية (كهف الشيطان) ، خاصة وقد ألقيت القبض على زعيمهم .
قالت الفتاة :
— (الكوبرا) منظمة قديمة ، ذات تاريخ إجرامىّ عريق.. تمامًا مثل (المافيا) ، ويصعب القضاء عليها فى عملية واحدة .. هذا ما علمته منذ جَنَّدونى للعمل لحسابهم .
ممدوح :
— وهل يتزعَّم (شيرود) هذه المنظمة ؟
الفتاة :
— (شيرود) مجرَّد حلقة وصل ، بين زعيم المنظمة وأفرادها .

ممدوح :
— إذن فليس (ميشيل) هو المسئول الوحيد عن اختفاء (واصف الحسينى) .
أطرقت الفتاة برأسها فى حَيْرة ، وهى تقول :
— وهذا ما يحيِّرنى ، فلقد كان (شيرود) معارضًا لقتل (واصف الحسينى) ، بعد كشف حقيقته ، ولكن (ميشيل) قتله ، على الرغم من ذلك .
ممدوح :
— ربما شعر أنه يمثل خطرًا حقيقيًّا عليه ، فتخلَّص منه على الفور .
الفتاة :
— هناك أمر آخر يحيِّرنى بشأن (ميشيل دارك) .
ممدوح :
— لقد قرأت تلك الحَيْرة فى مذكراتك .
تطلَّعت إليه الفتاة ، قائلة :
— إننى أشعر أن (ميشيل) هذا يختلف عن ذلك الذى عرفته من قبل ، كما أن صوته يختلف بعض الشىء ، ويذكِّرنى بشخص آخر .

سألها فى اهتمام :

ـــ بمن ؟

أجابته فى تردُّد :

ـــ هل تصدِّقنى لو أخبرتك ؟

أجابها :

ـــ نعم .. سأصدِّقك .

الفتاة :

ـــ إن صوته وملامحه يذكِّرانى بـ (واصف) .. (واصف الحسينى) .

حدَّق (ممدوح) فى وجهها بدهشة ، قبل أن يقول :

ـــ (واصف الحسينى) ؟. أتعنين أن (واصف) و (ميشيل) هما شخص واحد ؟

قالت فى تردُّد :

ـــ لقد بحثت طويلًا عن (واصف) ، فقد أحببته بالفعل ، ولكن (ميشيل) رفض إعطائى إجابة شافية ، وإن أقسم إنه لم يقتل (واصف) ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد علمت ، عندما اختطفنى رجال (شيرود) ، أن (ميشيل) قد قتل (واصف) بمعاونة الأبكم ، وأن المنظمة تولَّت نقل

جثته من مخزن خمور مجهول إلى مقبرة رسميَّة ، باسم مزيَّف ، و .....

توقَّفت عن الاستطراد لحظة ، فقال (ممدوح) يستحثُّها على المواصلة :

ـــ ماذا هناك ؟

تردَّدت طويلًا ، قبل أن تقول :

ـــ هناك شىء يقلقنى فى الواقع ، فلقد كان (ميشيل) و (واصف) يتفقان فى طول القامة والبِنية ، وملامح الوجه ، إلى حدٍّ شديد ، ولا يفرقهما سوى شعر (ميشيل) الأشقر ، وعينيه الزرقاوين ، وهذان الاختلافان يمكن التغلُّب عليهما بالصبغات والعدسات اللاصقة الملوَّنة .

عقد (ممدوح) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ أتوحين بأن (واصف الحسينى) يتخفَّى الآن فى شخصية (ميشيل دارك) ؟.. لا .. هذا الاحتمال غير وارد مطلقًا ..

ولكنه ـــ فى أعماقه ـــ بدأ يميل إلى هذا الاحتمال العجيب ..

يميل إليه كثيرًا ..

* * *

١٠ — مواجهة مع الشيطان ..

فجأة ، فُتِحَ باب بالقُرب من (ممدوح) ، وظهر على عتبته (شيرود) ، وعيناه تحملان ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

— مرحبًا بالبطل الهُمَام .. لقد أرهقتنا بالبحث عنك كثيرًا ، دون أن ندرى أنك ستأتى بنفسك لزيارتنا .

ابتسم (ممدوح) فى استخفاف ، كعادته فى مواجهة خصومه ، وقال :

— يبدو أن زيارتى قد أدخلت السرور إلى قلوبكم ، مما دفعكم إلى إعادتى مرّة أخرى ، والواقع أن إصرار رجالك المدجّجين بالسلاح قد أخجلنى .

قال (شيرود) فى حِقْد :

— إذن فما يقال عن روحك المرحة فى أحلك المواقف صحيح .

ثم التفت إلى (دونا) ، مستطردًا :

— ألا تتفقين معى يا عزيزتى ، فى أن بطلك المغوار لاتنقصه خِفَّة الظِّل ؟

قال (ممدوح) بنفس السخرية :

— إننا متفقان على شىء واحد ، وهو أن الحياة ستصبح أكثر جمالًا ، لو خلت من أمثالك .

بدا الغضب فى صوت (شيرود) وملامحه ، وهو يقول :

— حسنًا أيها المقدّم ، لم يبق لك الكثير فى هذه الحياة ، لتتأكَّد من صحة نظريتك ، فلقد سبَّبت لنا الكثير من المتاعب من قبل ، ولن نسمح لك بمنحنا المزيد منها بعد الآن ، لقد أتيت لأتيقَّن من موتك أنت و (دونا) هذه المرَّة .

وصفَّق بكفَّيْه فى قوة ، فحضر أحد أعوانه ، حاملًا مدفعًا آليًّا ، وكان (ممدوح) فى هذه الأثناء يحرّك رُسغيه ، محاولًا حل قيوده ، دون جدْوَى ، فى حين قال (شيرود) للرجل فى صرامة غاضبة :

— اقتلهما .

وصوَّب الرجل مدفعه الآلى ..

وضغط الزِّناد ..

* * *

لم تكن المسافة بين (ممدوح) والرجل تسمح للأول بركل الثانى ، فلم يكن من (ممدوح) إلا أن قفز واقفًا على قدميه ،

ومال بجذعه ، واندفع لترتطم رأسه بمعدة الرجل كالقنبلة ، مما دفع الرجل ليرتطم ظهره بالحائط فى قوة ، قبل أن يكتمل ضغط سبّابته على زناد مدفعه الآلىّ ..

وصفّق (شيرود) بكفّيه فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ ضربة رائعة ، ولكنها لن تنقذك ، وإنما ستجعل قتلك أكثر إمتاعًا على الأقل .

زمجر الرجل ، بعد أن التقط أنفاسه من ضربة (ممدوح) ، وهوى على فك (ممدوح) بكعب مدفعه فى عنف ، وكاد يتبع الضربة بأخرى أشد بأسًا ، لولا أن صاح به (شيرود) :

ـ أيها الغبىّ .. لا أريده أن يغادر عالمنا فاقد الوعى ، ينبغى أن يلتقى بالموت وجهًا لوجه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع رجل داخل المكان ، وقال فى انفعال :

ـ مهلًا يا سيّدى .. (السيّد الكبير) يريد أن يلتقى بالضابط المصرى والفتاة ، قبل قتلهما .

تنفّس (ممدوح) الصُعَداء ، وقد أدرك أن هذا الاستدعاء المفاجئ سيمنحه والفتاة فرصة أخرى للحياة ، وستمنحه فرصة لقاء الزعيم بنفسه ، الذى يرمزون إليه بلقب

(السيّد الكبير) ، ولقد أدهشه أيضًا أن يتواجد الزعيم فى هذا المكان ، وأن يحرص على مقابلته قُبَيل التخلُّص منه ، أما (شيرود) ، فقد انزعج حقًّا لهذا المطلب ، واعتبره فألًا سيئًا ، فقال وصوته يحمل رنّة غاضبة :

ـ ماذا يحدث لو أنك تأخرت قليلًا ؟. ربما لم يكن للمطلب معنى حينذاك .

قال الرجل فى جفاء ، مشيرًا إلى كونه أحد المقرّبين للزعيم :

ـ أهذا ما ترغب فيه حقًّا ؟!.. أن تمتنع عن تلبية طلبات الزعيم ، لو أمكنك هذا !

هزّ (شيرود) رأسه فى قوّة ، وهو يقول مفسّرًا :

ـ لم أقصد هذا المعنى مطلقًا ، ولكن بقاء هذا الرجل على قيد الحياة طويلًا ، يبعث فى أعماق شعورًا بالتشاؤم .

قال الرجل فى حزم ، دون تعقيب على قول (شيرود) :

ـ (السيّد الكبير) فى انتظار المصرىّ والفتاة فى حجرته .

شيرود :

ـ حسنًا .. أخبره أنهما فى الطريق إليه .

ودفع المسلّح (ممدوح) والفتاة أمامه ، عَبْر ممر طويل ، على جانبيه أبواب مغلقة ، ثم ارتقى معهما بضع درجات ، أوصلتهم إلى ممرّ آخر قصير ، انتهى بهم إلى قاعة فسيحة ،



وشعر (ممدوح) بارتجافة الفتاة وذُعرها ، وهى تتطلّع إلى النافورة ..

مزدانة بنقوش شتى ، مما أوحى لـ (ممدوح) أن المكان عبارة عن برج من أبراج العصور القديمة ، وإن أثار انتباهه كثرة ما مرّ بهم من المسلحين ، عَبْر الممرات ، وطوال الطريق إلى القاعة ، ولقد بدوا جميعًا جامدى الوجوه ، يعلوهم التحفُّز لإطلاق النيران ، لمجرّد إشارة صغيرة ..

ودفع المسلّح (ممدوح) والفتاة إلى سُلَّم رخامىّ صغير ، صعد بهما إلى قاعة أخرى ، عَبَرا فيها بابًا فولاذيًّا سميكًا ، قادهما إلى قاعة رخامية أنيقة ، تتوسّطها نافورة على هيئة أفعى بارزة الأنياب ، وقد اندفعت المياه من جوفها ، وبدا كما لو كان سُمًّا تلفظه بلا رحمة ..

وشعر (ممدوح) بارتجافة الفتاة وذُعرها ، وهى تتطلّع إلى النافورة ، إلا أنه انشغل عنها بمتابعة (شيرود) ، الذى اتجه نحو باب يواجه النافورة ، وطرقه عدة طرقات ، ثم فتحه دون أن ينتظر أمرًا بالدخول ، وترك المسلح خارج الحجرة ، ثم دفع (ممدوح) و (دونا) إليها ..

وغاصت أقدام (ممدوح) فى البساط الفاخر ، فى تلك القاعة التى فاقت فى مظاهر البذخ كل ما رآه (ممدوح) فى حياته ، بأثاثها الثمين ، والثريّات التى تزيّن سقفها ، واللوحات الفنّيّة النادرة ، التى تملأ جدرانها ، وفى نهايتها كانت

هناك عدة مقاعد وثيرة ، يجلس على المقعد المتوسط منها رجل واحد ، يعبث بأصابعه فى شعره الأشيب ووجهه النحيل ، وقد أخفى عينيه بمنظار داكن ، خُيِّل لـ (ممدوح) أنه يحجب نظرات نفاذة مركزة ، تحاول سبر أغواره ..

وخلف كل مقعد من المقاعد الأخرى ، وقف رجل فى زىّ رسمىّ وكان من الواضح أن كل الرجال ينتظرون الإذن بالجلوس ، من ذلك الأشيب النحيل ، الذى لم يعد لدى (ممدوح) أدنى شك فى أنه الزعيم الكبير ..

والعجيب أن أكثر ما لفت انتباه (ممدوح) هو مبرد أظفار صغير ، راح أحد الرجال الواقفين خلف المقاعد يعبث به ..

وتمنى (ممدوح) لو استطاع الحصول على ذلك المبرد الصغير ..

لقد علَّمه عمله أن هذه الأشياء الصغيرة هى التى تمنح من يحسن استغلالها فوائد عظيمة ..

وتحققت أمنيته كالمعجزة ..

لقد أشار الزعيم إلى الجميع بالجلوس ، بما فيهم (شيرود) ، فحرك ذلك الرجل مبرد الأظفار الصغير ، وأسرع يطيع الزعيم ، ولم يعد أمام (ممدوح) سوى التقاط المبرد بأصابعه المدربة ..

وراح عقل (ممدوح) يبحث فى اتجاهين فى آن واحد ..

فى الوصول إلى ذلك المبرد الصغير ، على بعد نصف المتر منه ..

وفى ذلك الرجل ذى المنظار الأسود ، المحاط بمهابة تؤهله بالفعل لزعامة منظمة إجرامية ذات نفوذ واسع ..

وكان هناك أمر ثالث يشغله ..

شعوره بأنه المسئول عن (دونا) ..

وطال الصمت فى المكان ، واستغل (ممدوح) هذا ، وعقله يعمل فى سرعة ، ويحلل ويختزن كل ما يراه ..

لقد استنتج أن هؤلاء الخمسة ، بما فيهم (شيرود) ، هم هيئة القيادة للمنظمة ، ولكن ما الذى يجمعهم هنا ؟

لا ريب أنه اجتماع تمهيدىّ لذلك اللقاء المعتاد فى مزرعة (ميشيل) ، الذى يحمل اسم (المؤتمر السنوى لهيئة رجال الأعمال) ...

وفجأة ، لمح (ممدوح) على شفتى الزعيم طيف ابتسامة ، لم تزده إلا رهبة وقسوة ، وهى تكشف عن صفَّين من الأسنان غير المنتظمة ، وخرج صوت الزعيم رهيبًا ، على الرغم من هدوء نبراته ، وهو يقول :

ـــ إذن فأنت (ممدوح عبد الوهاب) .

وكانت هذه هى البداية ..

* * *

١١ ـ محاولة حاسمة ..

صمت الزعيم طويلًا مرّة أخرى ، ممّا أشاع جوًّا من الرّهبة فى المكان ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد طلبت رؤيتك بنفسى ، قبل أن يقضى عليك (شيرود) ؛ لأرى ذلك الرجل الذى تسبّب فى فشل أهم عملياتنا ، والقبض على زعيم المنظمة السابق ، وهو شقيقى الأكبر ، وعلى الرغم من هذا ، لا يسعُنى إلا إبداء إعجابى بك ، فلم يسبق لرجل واحد أن تحدّى منظمتنا ، ونجح على هذا النحو ، وهذا يصيبنى بالأسف لاضطرارى لقتلك ، فهذه هى الوسيلة الوحيدة لإنهاء مشكلتنا معك ، خاصة وقد غدت للتدخُّل فى أمورنا مرّة أخرى ، ولكننى أعِدك أن أقيم لك جنازة رائعة لائقة ، تتناسب مع شجاعتك التى أُقدّرها .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ هل يضعنى رجالك أيضًا فى قبر رخامى يحمل اسمًا مستعارًا ، كما فعلوا مع (واصف الحسينى) ؟..

أطلق زعيم المنظمة ضحكة عالية ، وهو يقول :

ـ إذن فقد عرفت .. على أيّة حال ، كان (واصف) أقلّ منك براعة وذكاء ، فلقد سقط فى أيدينا على الفور ، وهذا أعِدك بمقبرة أفضل من مقبرته .

نقّل (ممدوح) بصره بين (دونا) والزعيم ، وقال :

ـ مَنْ يدرى ؟.. ربما أنك لم تقدّر الرجل حقّ قدره ، وربما كان أكثر الجميع ذكاء وبراعة .

تجاهل الزعيم قول (ممدوح) ، وهو يدير بصره إلى (دونا) ، قائلًا :

ـ وأنت يا (دونا) .. كنت فقيرة بائسة ، تعانين شظف العيش ، فالتقطناك . وحوّلناك إلى نجمة استعراضية ، ذات شهرة وثراء ، وعلى الرغم من ذلك فكّرت فى خيانتنا مرّتين .

قالت الفتاة فى ضراعة :

ـ سامحنى ياسيّدى ، وامنحنى فرصة أخرى .

أجابها الزعيم فى حسم :

ـ لم يَعُد هذا ممكنًا يا (دونا) .. وصدّقينى أننى آسف لاضطرارى إلى قتلك ، فلك خدمات جليلة للمنظمة .

هتفت (دونا) فى لهفة ، وكأنما تتشبّث بآخر أمل :

ـ وماذا لو كشفت لك سرًّا ، قد يكون عظيم الأهمية للمنظمة ؟

رماها (ممدوح) بنظرة قاسية ، وقد أدرك أنها ستحدثهم عن شكوكها بشأن انتحال (واصف الحسينى) شخصية (ميشيل دارك)، وأدركت هى من نظرته أنه لايحبُ لها أن تكشف ذلك ، فتراجعت فى خوف ، وهى تتذكر إنقاذ (ممدوح) لها ، وما يمكن أن يفعله من أجلها ، لو منحته ثقتها ، وتلعثمت فى ارتباك ، فقال زعيم المنظمة فى هدوء ، وكأنما أدرك ما يدور بخاطرها :

— هيا يا (دونا) .. أخبرينا ما لديك ، فقد يثبت هذا إخلاصك لنا ، وينقذك من موت محتوم .

ارتبكت (دونا) ، وهى تقول :

— أردت أن أخبركم أن هذا الرجل يعمل لحساب إدارة العمليات الخاصة المصرية ، وأنه قد حضر إلى (بروكسل) خصيصًا لمنع عمليات تهريب الأسلحة ، إلى الشرق الأوسط .

انتهز (ممدوح) الفرصة ، فتحرك نحو المقعد الذى استقرَّ المبرد فوق مسنده ، وهو يقول فى انفعال مصطنع :

— أيتها الخائنة .. ظننتك ستحافظين على السرّ ، الذى ائتمنتك عليه .

دفعه أحد الرجال فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

— كُفّ عن الصيّاح ، وإلّا قتلناك على التوّ .

كانت هذه الدفعة هى ما ينشده (ممدوح) ، فقد تظاهر باختلال توازنه ، واستند بيديه المُوثقتين خلف ظهره ، إلى مسند المقعد ، وبسرعة التقطت أصابعه المبرد ، واحتوته بينها فى خفّة ، دون أن ينتبه أحد الحاضرين إلى ذلك ..

أما زعيم المنظمة ، فقد ظلّ على هدوئه البارد ، وقد ثبت نظراته على الفتاة ، قائلًا :

— أهذا كل ما أردت قوله يا (دونا) ؟

أجابته الفتاة ، وقد تمالكت نفسها :

— نعم .

قال فى برود صارم :

— أأنت واثقة ؟

بدت أكثر ثباتًا هذه المرة ، وهى تقول :

— تمام الثقة .

أشار الزعيم إلى (شيرود) ، قائلًا :

— حسنًا .. أعدهما إلى سجنهما .. اطلب من حارسك إعادتهما ، وانتظر أنت هنا ؛ لأننى أريدك ، ومُرْ بألّا يمسّهما أحد بسوء فى الوقت الحاضر .

غمغم (شيرود) فى تذمُّر :

ــ كما تأمر أيها (السيِّد الكبير) .

وفتح الباب ليأمر حارسه بإعادتهما ، ثم عاد إلى مقعده ، قائلًا :

ــ كنت أُفضِّل الإسراع بالتخلُّص منهما على الفور ، لنتفرَّغ لما هو أهم ، فلست أشعر بالراحة لبقاء هذا الرجل على قيد الحياة ، بعد ما عرفته عن تاريخه .

راح الزعيم يعبث بشعره الأشيب مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ــ أنا أُفضِّل مثلك معالجة الأمور على نحو سريع ، ولكننى أشعر أن الفتاة تعرف شيئًا بالغ الأهمية بالفعل ، لم تبُح به لسبب أو لآخر ، عندما حدجها ذلك المصرى بنظرة صارمة ؛ لذا فسننتظر ساعتين ، ثم نحضر الفتاة لاستجوابها مرَّة أخرى ، فإن رفضت سنقوم بتعذيبها ، لإجبارها على الاعتراف ، وبعدها سأترك لك حرية التخلُّص من الاثنين بالوسيلة التى تروق لك .

غمغم (شيرود) :

ــ كما تأمر أيها الزعيم ، كما تأمر .

فى هذه الأثناء ، كانت الفتاة تقول لـ (ممدوح) فى سجنهما :

ــ معذرة .. لقد شعرت بالخوف والضعف لحظة ، ولم أفكِّر إلا فى إنقاذ نفسى بأى ثمن .

لكن (ممدوح) كان فى شغل عنها بتحريك المبرد الصغير فى سرعة ودقة ، فوق الحبال التى تقيد معصميه خلف ظهره ، ولقد بدا الجهد الذى يبذله واضحًا ، فى حبَّات العرق التى بلَّلت جبينه ، مما أثار انتباه الفتاة ، فسألته وقد تجدَّد فى قلبها الأمل :

ــ أيمكننى مساعدتك ؟

كان يصارع قيوده فى حزم ، وهو يقول وقد تصبَّب العرق على أكتافه وصدره :

ــ الأمر يحتاج إلى أصابع قوية .. فقط دعينا نأمل أن نتحرَّر من هذه القيود ، قبل أن يحضر أحدهم لتنفيذ حكم الإعدام ، الذى أصدره (السيِّد الكبير) .

واصل عمله بعض الوقت ، حتى تخلَّص من قيوده ، وأسرع يحلّ قيود الفتاة ، ثم اندفع نحو النافذة الوحيدة فى الحجرة ، وراح يتحسَّس قضبانها المعدنية السميكة فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن تناول سلكًا رفيعًا من حزامه ، وربط طرفيه بالقضيبين اللذين يتوسطان النافذة ، ونزع أحد كعبى حذائه ، وتناول من التجويف داخله ورقتين مفضضتين مطويَّتين ،

وتناول من داخلهما مادة تشبه العجين المضغوط . وراح يثبتها فى طرفى السلك المربوط حول القضيبين الحديديين . والفتاة تراقبه فى دهشة ، كما لو كان ساحرًا فى سيرك ..

ومرة أخرى نزع كعب الحذاء الثانى ، وتناول من تجويفه مادة فسفورية ، حكها بقوة فى الأرض ، فاشتعلت ، وأسرع يدفعها نحو العجينة المثبتة فى طرفى السلك المعدنى ، فاشتعلت بدورها ، وأسرع هو يبعد الفتاة عن المكان ، قبل أن يحدث انفجار مكتوم ، انفصل إثره القضيبان ، وسقطا أرضًا ، ففغرت الفتاة فاها دهشة ، وهى تهتف :

ـ مدهش !!

واصل (ممدوح) تحركه السريع ، وقفز فوق مائدة صغيرة ، يتطلع عبر النافذة إلى أسفل ، وهو يقول :

ـ لقد انتهى الجزء الأسهل ، فما سنقدم عليه الآن هو الأصعب .

كانت النافذة محفورة فى جدار أملس لبرج على حافة هوة ، تطل على البحر مباشرة ، فالتفت إلى الفتاة ، مستطردًا :

ـ أتجيدين السباحة ؟

أجابته فى قلق :

ـ لا .. لماذا ؟

أجابها فى هدوء :

ـ أظن أنه قد حان الوقت لتبدئى محاولاتك الأولى لتعلمها ، فالقفز إلى البحر هو أملنا الوحيد فى الفرار ، وسأساعدك على الوصول إلى الشاطئ .

ألقت الفتاة نظرة من ذلك الارتفاع الشاهق على البحر ، وهتفت فى فزع :

ـ لا .. لا .. لن يمكننى أبدًا .

أجابها فى حزم :

ـ لم يعد هناك مجال للتردد .

هتفت فى عناد وتصميم :

ـ لن يمكننى .. اقفز أنت ، وسأبقى أنا لأواجه مصيرى .

تناهى إلى مسامعهما وقع أقدام تقترب ، فقال فى صرامة :

ـ أسرعى باتخاذ قرارك ، فأمامك الاختيار ما بين موت عاجل محتوم ، وآخر محتمل .. أيهما تفضلين ؟

هتفت فى عناد :

ـ لن أقفز .

لم يَعُد أمامه ما يفعله ؛ لذا حملها عنوة ، ودفعها عبْر النافذة إلى البحر ، وفى نفس اللحظة التى فُتِحَ فيها باب الزنزانة ، كان يقفز بدوره خلفها ..

ويهوى نحو البحر ..

ونحو أمل فى الحرية ..

* * *



لذا حملها عنوة ، ودفعها عبْر النافذة إلى البحر ..

١٢ ــ الوافد المجهول ..

لم يكد (ممدوح) يغوص فى المياه الباردة ، حتى شرع يبحث عن (دونا) ، والتقط رأسها على ساعده ، وراح يعاونها على السباحة إلى الشاطئ، على الرغم من الرصاصات، التى تنهال عليهما من نافذة الزنزانة ، حتى بلغا الشاطئ معًا ، فقال للفتاة :

ــ لقد وصلنا إلى اليابسة ، لا تخيّبى أملى هذه المرّة .

وأطلق الاثنان ساقيهما للرّياح ، وراحا يقفزان فوق عدد من الحواجز الصخرية ، التى اعترضت طريقهما ، واخترقا سهلًا تظلّله أشجار النخيل من الجانبين ، حتى بلغا الطريق العام ، فاستوقفا إحدى السيارات المارة ، وطلب (ممدوح) من قائدها إيصالهما إلى الميدان الرئيسى للمدينة ، وتصوّر أن متاعبهما قد انتهت ، ولكنه رأى سيارة كبيرة تطلق نفيرها خلف السيارة التى استقلّاها ، وكأنما يطالبها قائد السيارة الكبيرة بإفساح الطريق ، ولم يكد قائد سيارتهما يفسح الطريق ، حتى سارت السيارة الكبيرة بمحاذاة سيارتهما تمامًا ،

وراح ركابها يتفحّصون السيارة الصغيرة ، على نحو دفع (ممدوح) إلى خفض رأس الفتاة ، وهو يسأل قائد السيارة فى خفوت :

ــ أتحمل مسدّسًا ؟

ظهرت الدهشة على وجه الرجل ، فأسرع (ممدوح) يستدرك :

ــ سيبدأ الأشرار فى السيارة المجاورة ، فى إطلاق النيران علينا بعد قليل ، ومن الضرورىّ أن أستعد لمواجهتهم .

شحب وجه السائق ، ومدّ يدًا مرتجفة إلى دُرْج السيارة ، وتناول منه مسدّسًا ، قدّمه إلى (ممدوح) ، وهو يلعن حظّه السّيئ ، وتناول (ممدوح) المسدّس فى هدوء ، حريصًا ألّا يبدو ذلك واضحًا لركّاب السيارة الكبيرة ، وألقى نظرة على هذه الأخيرة ، فرأى وجهًا دميمًا ، وماسورة مسدّس مزوّدة بكاتم للصوت ، مصوّبة إلى رأسه مباشرةً ..

وكانت المسافة بين السيارتين لا تتجاوز بضع بوصات ، ولكن (ممدوح) احتفظ بثبات أعصابه ، وانتزع منفضة السجائر من موضعها بباب السيارة ، ثم دفعها فجأة فى وجه الرجل ، الذى احترقت عيناه برماد السجائر ، قبل أن تنطلق من مسدّس (ممدوح) رصاصة ، استقرّت فى جبهته ، وأردته صريعًا على الفور .

وصاح (ممدوح) فى قائد سيارته ، يطالبه بتخفيف سرعته على نحو مباغت ، وأطاعه الرجل فى تلقائية ولّدها رُعبه ، وصنعتها رغبته فى الفرار من ذلك الموقف العصيب ، الذى وجد نفسه منغمسًا فيه حتى أُذنيه بغتة ..

وتجاوزتهم السيارة الكبيرة بالفعل ، مع تخفيض سرعتهم المفاجئ ، وهنا أطلق (ممدوح) رصاصاته على إطاراتها الخلفية ، فدارت حول نفسها ، قبل أن تتوقّف تمامًا .

وهتف (ممدوح) بالرجل :

ـ انطلق بأقصى سرعة الآن .

أطاع الرجل الأمر فى ارتياح هذه المرّة ، وأطلق العِنان لسيارته ، غير عابئ بمنحنيات الطريق ، ولا بالرصاصات التى طاردته من السيارة الكبيرة ، فى حين تنفّس (ممدوح) الصُعَداء ، وقال للفتاة :

ـ ارفعى رأسك .. لقد نجونا هذه المرّة ، ولكنها لن تكون آخر محاولاتهم لقتلنا .

لم يستطع منع نفسه من الابتسام ، عندما هتف قائد السيارة فى رُعب حقيقى :

ـ أهناك متاعب أخرى ؟!

قال (ممدوح) ، وهو يعيد إليه مسدسه :

ـ معذرة لما سبّبناه لك من متاعب .. يمكنك أن تجفّف عرقك الآن ، وتنطلق بسرعة عادية ، فقد تجاوزنا الخطر ، فى الوقت الحالى .. قُدنا إلى الميدان الرئيسى ، ثم انس هذه التجربة القاسية تمامًا .

تمتم الرجل ، وهو يجفّف عرقه :

ـ أنساها ؟!.. كيف تطلب منّى هذا ؟.. إننى لن أنساها أبدا ، ولن ألتقط أى مخلوق من الطريق ، مهما كان الثمن .. لن أفعل مطلقًا .

* * *

غادر (ممدوح) السفارة المصرية فى (بروكسل) ، بعد أن ترك (دونا بيكر) فى حمايتها ، وبعد أن تزوّد من الرائد (فايز) بكمية جديدة من المعلومات عن (واصف الحسينى) ، حصل عليها (فايز) بدوره من السفارة الأردنية هناك ..

وأهمُّ هذه المعلومات أن (واصف الحسينى) يحمل فى فكّه السُفلى ثلاث أسنان صناعية ، إثر حادث فى (الأردن) ، وأن هذا الأبكم ، الذى قتله (ممدوح) ، لم يكن ضمن رجال

(ميشيل) قديمًا ، بل انضمَّ إليهم حديثًا ، وصار الحارس الخاص لـ (ميشيل) ..

وزادت هذه المعلومات من شكُوك (ممدوح) ، حول انتحال (واصف) لشخصية (ميشيل) ، وجعلته يُوقن من ضرورة توصُّله إلى الحقيقة بنفسه ، ومن أنه لن ينجح فى هذا إلَّا بواسطة اللقاء مع (ميشيل دارك) وجهًا لوجه ..

وهذا ما سيفعله ..

* * *

هبط (ممدوح) بمظلَّته الهوائية الخاصة فوق ذلك المرتفع الجبلى ، الذى يطلُّ على مزرعة (ميشيل دارك) ، ولم يكد يقترب من السِّياج المحيط بالمزرعة ، حتى ألقى نحوه عملة معدنية صغيرة ، أنبأته بأن السِّياج يحمل شحنة كهربية كافية لصعق من يلمسه ، فشرع يحفر حفرة صغيرة أسفل السلك ، بكل الحرص والحذَر ، ثم تناول من حقيبته الجلدية جهازًا صغيرًا ، دسَّه فى الحفرة ، وأخرج جهازًا آخر ، شبيهًا بجهاز التحكُّم الآلى (ريموت كنترول) ، وضغط عددًا من أزراره ، فارتفع من الجهاز الآخر ذراعان إليكترونيان ، مزوَّدان بخطَّافين ، تعلَّقا بأطراف السلك المكهرب ، ثم أطلقا

شعاعًا لامعًا ، سرعان ما خبَا ، وقد امتصَّ الجهاز الشحنة الكهربية من الأسلاك ، بين خطَّافيه ..

وهنا قطع (ممدوح) الأسلاك فى اطمئنان ، وعَبَرَ السِّياج إلى داخل المزرعة ، ولكنه لم يكد يقطع بضعة أمتار ، حتى رأى زوجًا من كلاب الحراسة الشرسة يعْدو نحوه ، ويهمّ بمهاجمته فى وحشية ، فانتظر حتى انقضَّا عليه مباشرةً ، وأطلق من مسدَّس خاص معه رذاذًا عجيبًا على وجهيهما ، فخرَّا فاقدى الوعى عند قدميه ..

ولكن نباح الكلبين أيقظ سكَّان المزرعة ، فخرج بعضهم مزوَّدًا بالسلاح ، وباحثًا عن سرّ نباح الكلاب وصمتهما ..

ومن مكمنه وسط الأعشاب ، رأى (ممدوح) أحد الرجال وهو ينقل إلى (ميشيل) نبأ العثور على الكلبين مخدَّرين ، وسمع هذا الأخير يصدر تعليماته المشدَّدة بإحكام الرقابة على مداخل ومخارج المزرعة ، والبحث عن المتسلّل المجهول ، وبعدها اتجه (ميشيل) إلى حجرته ، وأخرج من درج مكتبه مسدَّسًا ضخمًا ، راح يفحصه فى عناية ، حتى شعر بفوَّهة مسدَّس آخر تلتصق بظهره ، وسمع صوت (ممدوح) يقول :

— هلّا تكرّمت بتأجيل فحص مسدّسك يا مسيو (ميشيل)؟

غمغم (ميشيل) فى توتر ، دون أن يلتفت :

— هل أنت ؟

لم يمنحه (ممدوح) فرصة إكمال جملته ، بل أكملها قائلًا :

— أنا صديقك القديم (ممدوخ كامل) .. أو (ممدوح عبد الوهاب) ، كما يعرفنى أهل مهنتى ، الذين يعرفونك باسمك الحقيقى .. اسم (واصف الحسينى) .

وضع (ميشيل) مسدّسه على سطح مكتبه ، والتفت إلى (ممدوح) فى هدوء ، قائلًا :

— اسمح لى أن أهنئك أوّلًا ، على دخولك مزرعتى بهذه البراعة ، فهذا يؤكّد أن نظرتى الأولى كانت صائبة ، وأنك بالفعل عميلٌ محترف ، ولست مجرّد رجل أعمال كما ادّعيت ، ولكن ما يحيّرنى حقًّا هو أنك تخلط بينى وبين (واصف الحسينى) !

قال (ممدوح) فى برود :

— نظريتك صادقة بشأنى ، فأنا حقًّا محترف ، وأظن نظريتى بشأنك صادقة أيضًا ، فأنا الآن أمام رجل يحمل شخصية مزدوجة ، فهو (ميشيل دارك) ، رجل الأعمال

الفرنسى ، وعضو منظمة (الكوبرا) ، وهو فى الوقت ذاته (واصف الحسينى) ، رجل المخابرات الأردنى .

ارتسمت على وجه (ميشيل) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— رجل أعمال ورجل عصابات ورجل مخابرات !!.. كل هذا فى آن واحد ؟!.. صدّقنى يا رجل ، لو أن الموقف يحتمل الضحك لفعلت ، ولكن نظريتك الخيالية هذه لا تحتمل سوى البكاء ، وسوى .....

باغته (ممدوح) بلكمة كالقنبلة ، ألقته أرضًا ، ثم انحنى يلتقط ثلاث قطع صغيرة ، وهو يقول :

— حادث (الأردن) منذ ست سنوات .

وصوّب المسدّس إلى خصمه ، مع نظرة ثاقبة ، متابعًا :

— ثلاث أسنان صناعية يا رجل .. لم يَعُد هناك مجال للشكّ .. أنت (واصف الحسينى) ..

وبالفعل ، لم يَعُد هناك مجال للشكّ !!..

* * *

١٣ ـ خُطَّة الشيطان ..

نهض الرجل من مكانه ، وهو يضع يده على فكّه ، إثر لكمة (ممدوح) ، وقال :

ـ حسنًا .. سأشرح لك كل شيء .. أنا حقًّا (واصف الحسيني) ، ضابط المخابرات الأردنية ، وأعترف أنني قد تجاوزت حدود مهمّتي ، ولكن هذا كان للمصلحة العامة ، وللتوصُّل إلى الرأس الكبير ، وراء عمليات تهريب الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، فعندما كشف (ميشيل دارك) ، أحد أعضاء منظمة (الكوبرا) شخصيتي ، دار بيننا صراع رهيب ، انتهى بسقوطه في حوض للأحماض ، أدّى إلى تشوّه وجهه ، واستحالة تعرُّف ملامحه ، ولمّا كنّا نتشابه ـ هو وأنا ـ في القوام والبِنية ، وبعض الملامح ، ولمّا كنت أعرف الكثير عنه ، بتقاربنا ، واطّلاعي على ملفاته ومذكراته ، فقد أمكنني انتحال شخصيته ، وإقناع المنظمة بأن القتيل هو (واصف الحسيني) .. ولمّا كان (ميشيل) رجلًا يكره

الاجتماعيات ، ويلتقي برجال المنظمة قليلًا جدًا ، فقد أمكنني ارتداء شخصيته طويلًا ، دون أن يشعر أحد بذلك ، ولقد حرصت أيضًا على إدارة الأمور بأسلوب (ميشيل) ، وحرصه على ممارسة كافة هواياته ، كحضور حفلات الأوبرا ، ومتابعة سباقات الخيل وخلافه .. ولشدة حرصي على نجاح خُطتي ، لم أخبر حتى إدارتي بأمرها ، خشية أن يطالبني الرؤساء بالعدول عنها ، في حين كنت شديد الثقة في نجاحها .. واليوم بالذات أشعر أن خُطتي ستؤتي ثمارها ، فالزعيم وكل الرءوس الكبيرة سيأتون إلى هنا ، إلى مزرعة (ميشيل) ، لعقد اجتماعهم السنويّ ، فيما أسموه بـ(هيئة رجال الأعمال) ، وهكذا سيتاح لنا معًا ، بمعاونة فريق من رجال المخابرات الأردنية ، الذي وصلوا إلى (بروكسل) أمس ، وأبلغتهم بحقيقة خُطتي ، أن نقضي على كل رءوس (الكوبرا) .. والآن وقد أطلعتك على خُطتي ، أظنّ أنه لم يَعُد هناك داعٍ لتصويب مسدسك إلى رأسي ، فنحن فريق واحد .

قال (ممدوح) في تردُّد :

ـ قبل أن أعيد مسدسي إلى غِمْده ، أريد جوابًا لسؤال يحيّرني ، فهل يدخل ضمن نطاق سرّية خُطتك ، أن ترسل

ذلك الغوريلا الأبكم للقضاء عليّ ، فى شقة (دونا) ، بعد أن شككت فى كونى زميل مهنة ؟

قال (ميشيل) ، وكأنه كان يتوقع السؤال :

ــ إننى لم أرسله فى الواقع .. ولم آمره حتى بدس تلك القنبلة الإليكترونية فى قدّاحة سيارتك ، ولقد حاولت ألا أبالغ فى دفعه عنك ، حتى لا يراوده الشك فى حقيقة شخصيتى وانتمائى ، إلا أنه تصوّر أن القضاء عليك سيسعدنى ، فأقدم على هذا من تلقاء نفسه ، مدفوعًا بميول عدوانية عنيفة ، وشراسة غريزية فى أعماقه .

اكتفى (ممدوح) بهذا الجواب ، وأعاد مسدسه إلى غمده ، وهو يقول :

ــ الآن يمكنك أن تعتبرنى ضمن فريقك ، أيها المقدّم (واصف) .

التقط (واصف) مسدسه ، من فوق المائدة ، وهو يقول :

ــ يُسعدنى ذلك أيها المقدّم (ممدوح) .

لاحظ (ممدوح) أن (واصف) قد ضغط زرًا صغيرًا فى حافة المائدة ، وقبل أن يدرك ما يعنيه ذلك ، اقتحم أربعة رجال الحجرة ، وصوّبوا أسلحتهم إلى (ممدوح) ، وحذا (واصف) حذوهم ، وهو يقول فى سخرية :

ــ ويُسعدنى أيضًا أن أقدّمك هديّة للزعيم الليلة ، فسيسعده كثيرًا أن يجدك فى قبضتى ، فهم ينقّبون فى كل شبر فى (بروكسل) بحثًا عنك .

عقد (ممدوح) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ إنك بهذا تحسم تردُّدى نحوك يا (واصف) ، وتحدّد موقعى منك بالضبط ، فلقد كنت مترددًا ما بين إطاعة غريزتى ، واعتبارك خصمًا ، أو تصديق قصتك ، والانضمام إلى فريقك .

قال (واصف) فى سُخرية :

ــ لن يصنع موقعك فارقًا كبيرًا ، فلن تلبث أن تقضى نحبك ، حاملًا القصة معك إلى قبرك .

ممدوح :

ــ ألا تخشى أن أخبر الزعيم ، ورءوس المنظمة ، أن (ميشيل دارك) ، أحد أعضاء المنظمة الرئيسيين ، هو نفسه (واصف الحسينى) ، عميل المخابرات الأردنية ؟

أطلق (واصف) ضحكة عالية ، وقال :

ــ أتظنهم سيصدّقونك ، بعد أن أسلّمك لهم بنفسى ؟.. إن ادعاءك سيبدو لهم هزليًا ، مثيرًا للسُّخرية ، ثم إنك لن تجد

الفرصة لتقصَّ عليهم شيئًا ، فبمجرّد ظهورك ، سيفرغ أحد رجالى الرصاص فى جسدك أمامهم .. أضف إلى هذا أن كل الرؤوس الكبيرة لايتحدّثون سوى البرتغالية .

وانكشفت أسنانه بابتسامة واسعة متشفية ، وهو يستطرد :

ــ لقد انتهيت هذه المرّة يا (ممدوح عبد الوهاب) .. انتهيت تمامًا ..

* * *

وجد (ممدوح) نفسه سجينًا ، داخل مخزن أخشاب صغيرة ، يتولّى حراسته من الخارج رجل برتغالى ، يحمل مدفعه الآلىّ على كتفه ، وبدا هذا السجن أفضل كثيرًا من تلك الزنزانة ، داخل البرج القديم ، فهو لا يطلّ ــ على الأقل ــ على هُوَّة سحيقة تنتهى ببحر متلاطم الأمواج ، وإن كان الحارس هنا يتطلّع إلى المخزن كل دقائق ، عَبْرَ كُوّة صغيرة ؛ ليتأكّد من أن (ممدوح) لن يقدم على أى تصرُّف ، طبقًا لأوامر (واصف) له ..

واستغلّ (ممدوح) هذا ، فنزع من إصبعه خاتمًا ، راح يعبث به على نحو مريب ، مما أثار قلق الحارس ، ففتح باب المخزن ، ودلف إليه ، مصوّبًا سلاحه إلى (ممدوح) ، قائلاً فى صرامة :

ــ أعطنى الخاتم .

قال (ممدوح) فى هدوء :

ــ أتصرُّ على ذلك ؟

هتف الرجل فى انفعال :

ــ قلت لك أعطنى الخاتم .

ولم يكن الخاتم عاديًا بالفعل ..

كان أحد مبتكرات القسم الفنى للمكتب رقم (١٩) ..

ولم يكن (ممدوح) ليتنازل عنه فى سهولة ..

وعلى الرغم من ذلك ، أدار (ممدوح) فص الخاتم فى الاتجاه العكسى ، ثم ألقاه إلى الحارس ، قائلاً :

ــ خذ .. هاهو ذا .

لم يكد الحارس يلتقط الخاتم فى راحته ، حتى أطلق صرخة عالية ، فقد استحال الخاتم فى يده إلى جمر متّقد ، مما دفعه إلى إلقائه أرضًا ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها (ممدوح) ، ووضع ماسورة المدفع الآلىّ تحت إبطه ، ليضمن وجود فوّهته خلف ظهره ، ثم هَوى على فكّ الحارس بلكمة كالقنبلة ، أطاحت بالرجل إلى الوراء فى عنف ، وأجبرته على التخلّى عن سلاحه ، وقبل أن يستعيد توازنه ، عاجله (ممدوح) بضربة أخرى على فكّه ، بكعب المدفع ، أفقدته الرُّشد تمامًا ..

وانطلق (ممدوح) يغادر المخزن ، وأسرع إلى حيث خدَّر الكلبين المتوحشين ، فحفر فى بقعة ما ، بين الأعشاب وأخرج جهازًا لاسلكيًا ، كان قد أخفاه هناك ، ورقد بين الأعشاب الطويلة ، وهو يضغط زرّ الاتصال فى جهاز اللاسلكى ، مردِّدًا :

ــ من المقدِّم (ممدوح) إلى الرائد (فايز) هل تسمعنى ؟

جاءته الإجابة عَبْرَ الأثير ، من تل يبعد خمسة كيلومترات فقط عن المزرعة ، حاملًا صوت (فايز) ، وهو يقول :

ــ من الرائد (فايز) إلى المقدِّم (ممدوح) .. أسمعك فى وضوح .

ممدوح :

ــ أسمعك فى وضوح أيضًا .. أنا الآن داخل المزرعة ، أستعد لتنفيذ الخُطَّة ، وراقب الطريق جيِّدًا ، فسيحضر زعيم المنظمة وكل رءُوسها بعد قليل إلى المزرعة ، انتظروا واستعدوا .

فايز :

ــ عُلِم ، وسينفَّذ .



فحفر فى بقعة ما ، بين الأعشاب وأخرج جهازًا لاسلكيًا ، كان قد أخفاه هناك ..

والتفت (فايز) إلى قائد قوات الأمن البلجيكية ، التى تصحبه ، والتى رَبَضَ رجالها فوق التلال ، وقال :

ــ استعدوا للتنفيذ .

راقب رجال الأمن البلجيكيين الطريق فى اهتمام ، حتى قال أحدهم :

ــ هناك رتل من السيارات يتجه نحو المزرعة .

اعتدل (فايز)، وسَرى الحماس فى جسده، وهو يقول :

ــ يبدو أننا قد اقتربنا من اللحظة الحاسمة .. اقتربنا منها كثيرًا .

* * *

جلس زعماء المنظمة حول مائدة خشبية مستديرة ، وعلى رأسهم الزعيم الكبير ، بمنظاره الأسود ، وعبثه الدائم بشعره الأشيب ، ووقف (واصف) وسطهم مبتسمًا ، يقول :

ــ يُسعِدنى أن أرحِّب بكم فى مزرعتى أيها السادة ، فى اجتماعنا السنوى ، كما يُسعِدنى أن أنقل إليكم نبأ سيدخل السُّرور إلى قلوبكم ، فأنا أحتجز هنا الرجل الذى تبحثون عنه .. المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) .

تطلَّع إليه الجميع فى لهفة ، جعلته يستطرد فى زهو :

ــ كان يمكننى القضاء عليه على الفور ، عندما تسلَّل إلى مزرعتى ، ولكننى فضَّلت الرجوع إليكم أوَّلًا ، حتى لا يقال إننى قد تصرَّفت ــ مرَّة أخرى ــ من تلقاء نفسى ، و ......

قاطعه اقتحام أحد رجاله القاعة ، هاتفًا :

ــ سيِّدى ..

التفت إليه (واصف) فى غضب ، صائحًا :

ــ تبًّا لك أيها الأحمق .. كيف تجرؤ على اقتحام القاعة هكذا ؟

هتف الرجل ، وقد بلغ انفعاله مبلغه :

ــ لقد هرب المصرىّ يا سيِّدى .

امتقع وجه (واصف) ، وهو يهتف :

ــ هرب ؟!

قال الزعيم الكبير فى غضب :

ــ هل هرب مرَّة أخرى ؟

اضطرب (واصف) فى شدَّة ، وهو يقول :

ــ لقد أفلت من سجنه ، ولكنه لم يغادر المزرعة حتمًا .

هتف (شيرود) فى حِدَّة :

ــ أيها الغبىّ .. لقد سمحت له بالفرار مرَّة أخرى .

هتف (واصف) :
ـــ سأطلق رجالى للبحث عنه فى كل ركن ..
ارتفع صوت صارم يقول بغتة :
ـــ لا داعى أيها السادة .. هأنذا .
والتفت الجميع إلى مصدر الصوت فى ذُعر ..
وهوت قلوبهم فى أقدامهم ..
لقد كان (ممدوح) يقف على حافة النافذة ، ومدفعه الآلىّ مصوَّبٌ إلى صدورهم ..

* * *

قال (ممدوح) فى سُخرية ، وهو يتطلَّع إلى (واصف) :
ـــ والآن يا صديقى العزيز ، أأقصّ عليهم قصتك ، أم تفضل الانتظار حتى يُلقى القبض عليكم جميعًا ؟
أطلق الزعيم الكبير ضحكة عالية مباغتة ، وهو يقول :
ـــ عظيم .. قلت من قبل إنك رجل بارع متميِّز .
قال هذا وهو ينتزع رأس عصاه الآبنوسية ، ويصوِّبه إلى (ممدوح) فى سرعة ، ويطلق النار ..
نعم .. يطلق النار ، فلم تكن تلك العصا سوى مدفع آلىّ خفىّ ، أصابت رصاصاته ساعد (ممدوح) ، الذى انحنى فى

سرعة ، وأطلق رصاصات بندقيته على الزعيم ، فأصابه فى كتفه ، وأسقطه أرضًا ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أصوات تهتف :
ـــ اقتحام .. رجال الأمن يقتحمون المزرعة بقوات هائلة .
ارتسم الذُّهول على وجه (واصف) ، وساد الهرج والمرج فى المكان ، وكل من زعماء المنظمة يحاول الفرار ، فى حين اتجه (ممدوح) نحو (واصف) ، الذى انهار على مقعده ، وسأله وهو يصوِّب إليه مدفعه الآلىّ :
ـــ لِمَ لَمْ تحاول الفرار معهم ؟
أجابه (واصف) فى يأس ، دون أن يرفع رأسه إليه :
ـــ إنها النهاية أيها المقدَّم .. لقد قضى الأمر ، وسيسقط البيض الفاسد كله فى السَّلَّة ، فلقد أخفيت عنك قصة لحظة ضعف ، نسيت خلالها واجبى كرجل مخابرات ، وتطلَّعت خلالها إلى ثراء (ميشيل) الفاحش ، بسبب خدماته لمنظمة (الكوبرا) ، وقيامه بعمليات تهريب الأسلحة لحسابها .. ودفعتنى لحظة الضعف هذه إلى التخلُّص من (ميشيل) ، بواسطة الأبكم الذى استأجرته ، ثم انتحال شخصيته ، للتمتع بثروته ، وليس للسعى خلف رؤساء المنظمة ، كما سبق أن

أخبرتك .. وقرّرت أن أهجر مهنتى القديمة ، وأن أتحوّل إلى مجرم يسعى لمزيد ومزيد من الثراء الحرام .. والآن سأدفع ثمن كل هذا .

ورفع عينيه إلى (ممدوح) لأوّل مرّة ، منذ بدأ حديثهما ، مستطردًا فى مرارة :

ـ ولكن فيمَ ينفع الندم ؟!

اقتحم الرائد (فايز) ، ورجال الأمن البلجيكيين ، المكان فى هذه اللحظة ، وهم يصوّبون أسلحتهم فى كل الاتجاهات ، وقال (فايز) لـ (ممدوح) :

ـ لقد ألقينا القبض على الجميع فى الخارج .

أشار (ممدوح) إلى الزعيم الكبير ، الذى رقد أرضًا ، ممسكًا بكتفه المصابة ، وقال :

ـ هاك رأس الأفعى أيضًا .

ثم تحوّل إلى (واصف) ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هيّا .. البيض الفاسد ينتظرك كله فى السّلّة خارجًا ، ومن المؤسف أنه يستحيل إصلاح البيض بعد فساده .. لقد حكمت على نفسك بالفشل إلى الأبد .

اصطحب رجال الأمن (واصف) إلى الخارج ، فى حين هتف (فايز) فى انزعاج :

ـ هل أصبت فى ساعدك ؟

ممدوح :

ـ إنها إصابة سطحية ، سأتولّى علاجها بنفسى ، فلا تقلق ..

وهكذا انتهت العملية ..

تم العثور على (واصف الحسينى) ، وتوقّفت عمليات تهريب الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، وانتهت منظمة (الكوبرا) ..

وعندما حلّقت الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) فوق مطار (بروكسل) ، كانت تقلّ ضابطًا مصريًّا ، استعدّت بلاده لاستقباله كبطل شجاع ، تفانى فى أداء واجبه ..

وعندما حلّقت ـ فى الوقت ذاته تقريبًا ـ الطائرة المتجهة إلى الأردن ، كانت تحمل ضابطًا آخر ، خان المخابرات الأردنية ، فاستحق أن يدفع ثمن خيانته ..

إنها النهاية ..

نهاية صراع (الثعلب والأفعى) ..

* * *

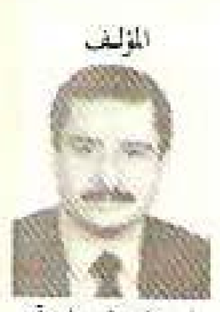
[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

الثعلب والأفعى

وقبل أن يتخلَّص (ممدوح) من المفاجأة ، أمسكت قبضة قوية بياقة سترته ، وأمسكت أخرى بحزامه ، ثم وجد نفسه يقفز في الهواء مرغمًا ، ثم يهوى مرتطمًا بأريكة تتوسَّط الرَّدهة ، ويسقط معها أرضًا ..

المؤلف



د. شريف شوقي

٤٦

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي

العدد القادم

مدينة الأشرار

قرش

وما يعادله بالدولار الامريكي في سائر الدول العربية والعالم